الحريـة دائمـاً
Her Daim Özgürlük

الحرمل
AL harmal

السنة الأولى / العدد السادس / 15 كانون الاول 2014

Alharmal Dergisi Kültür - Siyasi - 15 günde bir

ثقافية ـ سياسية ـ نصف شهرية ـ مستقلة ـ تصدر عن مؤسسة توتول الإعلامية بالتعاون مع منظمة بيت الرقة لكل السوريين

الأسد يدمر سوريا ويقتل شعبها

ثـوار إدلـب يحـررون معسـكري وادي الضيـف والحامديـة

تمكـن ثـوار محافظـة إدلـب وبعـد اشـتباكات عنيفـة مـع قـوات النظـام مـن فـرض سـيطرتهم الكاملـة عـلى معسـكري وادي الضيـف والحامديـة، وكانـت مجموعـات كبـيرة مـن جبهـة النـصرة وحركـة أحـرار الشـام ومجموعـة مـن كتائـب الجيـش الحـر قـد باغتـوا الجميـع وحـرروا الموقعـين القريبـين مـن مدينـة معـرة النعـمان في ريـف إدلـب الجنـوبي، ووصلـت موجـة التحريـر إلى قريـة معـر حطـاط، وأمـام تقـدم الثـوار فرّ عنـاصر النظـام مذعوريـن إلى الأراضي الزراعيـة، فيـما أصبحـت الطريـق إلى مركـز مدينـة إدلـب مفتوحـة أمـام الثـوار.

مضاد ال23 يرمي حممه على النصيرية بوادي الضيف

مفتتح الكلام

الصورة المشوهة

ماجد رشيد العويد

لعقـود خلـت والنظـرة المتبادلـة بـين الـترك والعـرب تقـوم عـلى الكراهيـة، وعـلى تشـويه بعضهـما، وبنـاء صـورة قبيحـة، وهـذا كلـه بفعـل السياسـات التـي كرّسـها الغـلاة مـن الشـعبين.

أمـران اثنـان أساسـيان سـاهما في تكويـن صـورة غـير حقيقيـة عـن الشـعبين. ينظـر الأتـراك إلى العـرب عـلى أنهـم قـوم خونـة سـاهموا في إسـقاط السـلطنة العثمانيـة بالاتفـاق عليهـم مـع القـوى الصاعـدة آنـذاك ممثلـة بالفرنسـيين والانكليـز، ويـرى العـرب إلى الأتـراك عـلى أنهـم كانـوا قـوة اسـتعمارية تحتـل بلادهـم، ويجـب التحـرر منهـم. ظلّـت هـذه الصـورة قائمـة طـوال العقـود الماضيـة، وفي سـوريا يقـوم المنهـاج البعثـي عـلى نقـل صـورة للسـفاح جـمال باشـا الـذي عمـل عـلى إعـدام أكـثر مـن عشريـن ثائـراً في لبنـان وسـوريا، ويحـاول تعميـم هـذه الصـورة، وجعلهـا عنوانـاً لصـورة الـتركي عامـة، ويقابـل هـذا التعميـم الجائـر آخـر تـركي أكـثر جـوراً عندمـا يذهـب الغـلاة مـن الـترك إلى تسـمية كلابهـم بأسـماء عربيـة محاولـين تعميـم صـورة قبيحـة للعـربي عامـة.

ثـم جـاءت الثـورات العربيـة الأخـيرة لتلعـب دوراً في تحريـك هـذه الصـورة وتغيـير بنيتهـا.

كان موقـف الأتـراك مـن الثـورة السـورية واضحـاً مـن البدايـة، فقـد سـاند الـترك الشـعب السـوري في مطالبـه، وقامـوا بمـا توجـب عليهـم مـن اسـتضافة العـدد الهائـل مـن السـوريين. في هـذا السـياق جـاءت الحرمـل التـي ولـدت بالتعـاون مـع بيـت الرقـة لـكل السـوريين معـززة بترخيـص مـن جمعيـة عـرب تركيـا التـي يقـوم عـلى رئاسـتها السـيد شـكري كيربوغـا لتسـاهم في إزالـة ذيـول تلـك الصـورة القديمـة، ولتسـهم في تكويـن صـورة جديـدة للعلاقـة بـين الشـعبين.

إذا كانـت الثـورة تقـوم عـلى الإطاحـة بنظـم الحكـم الفاسـدة، فـإن مآلاتهـا تكويـن نظـم حكـم تقـوم عـلى العـدل والمسـاواة، وعـلى إرسـاء علاقـات جـوار سـليمة تعمـل عـلى بنـاء تنميـة حقيقيـة بـين الشـعوب، وعـلى هـذا فـإن الثـورة السـورية قامـت عـلى نظـام حكـم مسـتبد قـلّ نظـيره، وإذا كانـت حتـى الآن قـد دفعـت ثمنـاً باهظـاً فـلأن حجـم الفسـاد المكـرس منـذ مـا يزيـد عـلى خمسـين سـنة كان كبـيراً جـداً.

وإذا كان لا بـد مـن التعويـل عـلى شيء أو عـلى أحـد في تنظيـف المنطقـة مـن الشـوائب كافـة فالمعـوّل عليـه في هـذا السـياق هـو السـوري الـذي أخـذ قـراره، وذهـب في ثورتـه إلى آخـر مـدى ممكـن، وليـس مـن ناقـل للوقائـع، كـما هـي، مثـل الإعـلام الحـر، ولعلنـا نتمنـى أن تكـون الحرمـل منـبراً مـن منابـره تذكـره الثـورة السـورية يـوم تقـوم ببنـاء سـورية الجديـدة مـن الداخـل الـذي رغـم مـا أصابـه مـن دمـار فإنـه يؤسـس لبنـاء إنسـان سـوري معـافى مـن أمـراض الخمسـين سـنة الفائتـة.

«البحرة» يلتقي عدداً من وزراء وسفراء الاتحاد الأوربي

ويطالب بتسوية سياسية شاملة وفق مبادئ جنيف

انعقـد مسـاء يـوم الأحـد في العاصمـة البلجيكيـة بروكسـل اجتـماع ضـم السـيد هـادي البحـرة رئيـس الائتـلاف الوطنـي لقـوى الثـورة والمعارضـة السـورية ومسـاعديه وعـدد مـن وزراء وسـفراء الاتحـاد الأوروبي بحـث خلالـه بشـكل رئيسـي خطـة المبعـوث الأممـي سـتيفان دي ميسـتورا، ورؤيـة الائتـلاف تجـاه الأفـكار المطروحـة في ظـل عـدم وجـود اقتراحـات مكتوبـة وواضحـة المعـالم في مـا سـبق وقدمـه المبعـوث الـدولي. وأكـد رئيـس الائتـلاف عـلى ضرورة أن تتضمـن خطـة دي مسـتورا التوصـل إلى تسـوية سياسـية شـاملة وفـق مبـادئ بيـان جنيـف. كـما ركـز عـلى ضرورة وجـود ضوابـط لضـمان تنفيـذ أي اتفـاق بمـا في ذلـك لجهـة عـدم اسـتغلال النظـام لتجميـد القتـال عـلى جبهـة معينـة ونقـل قواتـه إلى جبهـات أخـرى.

وقـد أشـار بعـض الـوزراء إلى اجتماعهـم مـع المبعـوث الـدولي وأنهـم وجـدوا أيضـاً في خطتـه بعـض الجوانـب التـي لا تـزال غـير واضحـة المعـالم.

وقـد تطـرق الاجتـماع إلى جوانـب أخـرى مـن ضمنهـا المسـاعدات الإنسـانية، وآليـات تنفيـذ قـرار مجلـس الأمـن ٢١٦٥ وأوضـاع اللاجئـين السـوريين، والعقوبـات المتخـذة ضـد النظـام.

إسرائيل تقصف مواقع سورية والأسد يرد في الرقة

عروة المهاوش

19 شهيداً حصيلة الغارات الهمجية واشتباكات بين الجيش والشبيحة

واصل طيران النظام الأسدي قصف محافظة الرقة نهاراً بالتوازي مع قصف طيران التحالف ليلاً، وجاءت الغارات الأخيرة التي نفذها الطيران الحربي يوم الخميس ٢٠١٤/١٢/١١ على خلفية ردّ النظام على القصف الاسرائيلي يوم الأحد على مواقع عسكرية سورية بالقرب من مدينة دمشق، واستهدف خلالها مستودعات للأسلحة، تحتوي على أسلحة ثقيلة وصواريخ روسية متطورة مضادة للطائرات.

وفي التفاصيل، قام الطيران الأسدي بقصف موقعين هما مطار الطبقة، ومحمية الكرين بالقرب من مدينة الطبقة، فيما نفذ ثلاث غارات على أحياء آهلة بالسكان المدنيين في مدينة الرقة، ما أسفر عن استشهاد ستة أشخاص، ووقوع عشرات الجرحى.

الغارة الأولى استهدفت جنوب مدرسة الغافقي، وخلّفت دماراً كبيراً، وأنباء عن فقدان شخص في المنطقة جراء القصف، الثانية استهدفت حي الفردوس، في الموقع المقابل لبناء الجميلي، وخلفّت شهيدين وأربعة جرحى بينهم طفل، فيما استهدف الطيران الحربي في غارته الثالثة محيط جامع الشهداء. واستطعنا توثيق أسماء أربعة شهداء فقط نتيجة نقص المعلومات التي تردنا من الداخل وهم: أحمد خليل الشيخ، محمد نور السويحة، معصوم عبد الرحمن، وأحمد البكار.

وفي سياق متصل ارتقى ثلاثة عشر شهيداً من عمال شركة الكهرباء في الطبقة جراء الاشتباكات الدائرة على حاجز «أثريا» على طريق السلمية – الرقة بين شبيحة الدفاع الوطني وعناصر من جيش النظام التي تدور بينهم منذ أيام.

وكان عمال الكهرباء متوجهين إلى مدينة حماة لقبض رواتبهم ومستحقاتهم المالية، إثر تحويلها من دير الزور إلى مدينة حماة، في الموقع المذكور، ونتيجة خلاف بين عناصر الجيش والدفاع الوطني، ونزاعهم على أولويات تشليح وسلب العمال أموالهم، وقع الاشتباك وكان ضحيته ارتقاء ثلاثة عشر شهيداً.

يذكر أن مشافي مدينة الرقة العامة والخاصة، تشكو من نقص شديد وحاد في المواد والمستلزمات الطبية، والأدوية، وتعاني من نقص الكوادر الطبية والتمريضية، وخروج معظمها عن الخدمة جرّاء تعرضها للقصف المتواصل، رغم الكثير من المطالبات اليومية لأبناء الرقة، ومحاولاتهم الدؤوبة لحث الحكومة السورية المؤقتة لتأمين احتياجات المشافي، إلا أن طلباتهم تظل حبيسة الأدراج المغلقة، وكأن الرقة لا تعنيهم بشيء.

من جهة أخرى تستمر طلعات طيران التحالف أيضاً على مدينة الرقة وريفها، وإن كانت متقطعة في بعض الأحيان، ورغم كل الخوف والرعب الذي يصيب أهلنا وأطفالنا من صوت الطيران والانفجارات، إلا أنهم يشعرون بنوع من الانزعاج رغم دقة التصويب للأهداف التي يقوم بقصفها طيران التحالف، على عكس غارات النظام التي تصيب الأهالي بالرعب والفزع، وتضطرهم لالتزام بيوتهم، ربما لأيام بعد الغارات.

وفي ظل كل هذه الأجواء المرعبة التي يعيشها أهلنا في الرقة، وانعدام الحياة المدنية، وتردي مستوى المعيشة، وانقطاع الكهرباء المتواصل، وندرة وسائل التدفئة جراء الغارات والقصف والدمار والموت، هناك رعب من نوع آخر يعانيه أهلنا من الأحكام والتشريعات، التي يصدرها تنظيم الدولة الإسلامية بين الحين والآخر، والتي كان من نتائجها هجرة أغلب عائلات المدينة، وشبابها وناشطي الثورة إلى خارج البلاد، ليواجهوا مصيراً مجهولاً في دول النزوح والاغتراب.

معلمو الرقة الأحرار يدعون وزير التربية لزيارة أورفا والاطلاع على أوضاع التعليم والعملية التدريسية

طالب السيد حسن المحمود رئيس اتحاد معلمي الرقة الأحرار في تركيا مكتب الحكومة السورية المؤقتة بمراقبة عمل مدارس السوريين في أورفا، وارسال وزارة التربية مفتشين لتقييم أداء المدرسين، والوقوف على احتياجات العملية التعليمية فيها، وذلك في الاجتماع الموسع الذي عقد يوم الجمعة ٢٠١٤/١٢/١٢ في مكتب الحكومة المؤقتة بأورفا، وضم رئيس وأعضاء اتحاد معلمي الرقة في تركيا والعاملين في مكتب الحكومة، وقدم أعضاء الاتحاد شرحاً وافياً حول أوضاع المدارس السورية، وطرق المحاصصة للمدن والمحسوبيات في تعيين المدرسين والإداريين، والتي تتم دون النظر والاهتمام بأصحاب الخبرات والشهادات والكفاءات، وقدم السيد رئيس الاتحاد عدداً من المطالب لمكتب الحكومة.

نذكر منها:

عدم اهتمام وزارة التربية في الحكومة المؤقتة، ممثلة بوزير التربية بتعليم أطفال السوريين، وضرورة افتتاح مكتب لاتحاد معلمي الرقة في تركيا بدعم من مكتب الحكومة، وعدم قبول أي تشكيل تربوي في مدينة أورفا دون حضور أعضاء ممثلين عن الاتحاد، وتخصيص رواتب للمعلمين المفصولين، ويكون الاتحاد هو المصدر الوحيد لرفع وتوثيق تلك الأسماء وعلى مسؤوليته، وافتتاح مدرسة للسوريين بإشراف الاتحاد، وإعطاء معلمي الرقة الأولوية في التوظيف، والتنسيق مع مكتب الحكومة لزيارة وزير التربية الجديد وضرورة اطلاعه على أوضاع التعليم، والتشاور مع اتحاد معلمي الرقة في كل قرار تربوي لاختيار الأنسب بعيداً عن المحاصصة والمحسوبيات.

(المجلس المحلي لمدينة الرقة) يلتقي أعضاء بيت الرقة لكل السوريين

المطالبة بلوائح اسمية للمنح المدفوعة للرقاويين

التقى أعضاء المجلس المحلي المنتخب بأعضاء منظمة بيت الرقة لكل السوريين، في الاجتماع الموسع الذي ضم عدداً من أبناء محافظة الرقة، وذلك يوم الجمعة ٢٠١٤/١٢/١٢ في مقر المنظمة، وناقش المجتمعون عدداً من الأمور التي تخص عمل مكتب الحكومة المؤقتة في مدينة أورفا، ومنعكسه على أوضاع اللاجئين السوريين في أورفا، واتفقوا في نهاية الاجتماع على رفع مطالبهم لمكتب الحكومة، والتي تتضمن ضرورة نشر أسماء المستفيدين من المنحة ومصدرها على الصفحة الرسمية لمكتب الحكومة، وإرسال نسخة ورقية بأسماء كل المستفيدين من المنحة في الداخل والخارج إلى منظمة بيت الرقة لكل السوريين مرفقة بالعناوين وأرقام الهواتف شريطة أن تكون مختومة بشكل رسمي، ومذيلة بالتواقيع، ونشر بيان لكل المبالغ التي تم استلامها منذ تأسيس المكتب والتي تخص محافظة الرقة حصراً مع تبيان صرفيات المبالغ.

وفي انتظار رد مكتب الحكومة مازال أهالي محافظة الرقة في مدينة أورفا يعانون ضنك العيش، وبرد الشتاء.

سيهترئ المخمر ولكن بعد سنوات..!

محمد الحاج صالح

كي لا يضع أحد على خاطره أتكلم عمّا كان حولي وقريباً منّي.

منذ سنوات عندما كنت في البلد حدثت الحادثتان التاليتان، الحادثة الأولى بين عائلتين من أقربائي، أما الثانية فقد كانت بين ابن عمي وأحد معارفه:

الأولى: مرّ قريبي الذي يسكن قرية أخرى بإخوة يعمرون داراً، هم في الواقع أقرباؤه أيضاً. كان ملثماً ولم يلق السلام. صاح به أحد الإخوة مزعوجاً من لثامه ربما: «ليش ما تسلم يوالْ؟». رد الملثم: «ما بدّي أسلّم. أخو كيفي أنت؟». شتيمة من هذا وشتيمة من ذاك وحدثت المشاجرة، فمات الملثم المارّ على الفور. ونشأت حربٌ استمرت ست سنوات والكلفة سبع ضحايا. حرب بسوس.

الثانية: كان ابن عمي شاباً صغيراً في عام ١٩٩٤ ويسكن وحيداً في الرقة بينما يسكن أهله في القرية. لا أحد يعرف السبب، وهو لا يقول ما السبب الفعلي للمشاجرة مع بعض شبان الحارة. زعيم الشبان تقدم منه وغمزه بإصبعه في صدره «هذه آخر مرة تمر بالحارة. سمعتْ؟». فما كان من الشاب الصغير إلا أن استل سكيناً من جيبه وغمدها في صدر الزعيم تماماً في ناحية القلب. ظل وضع الجريح قلقاً أياماً. أنا شخصياً لم أكن أعرف بالأمر إلا بعد أسبوع عندما بدأت تأتيني هواتفُ غامضة فيها رائحة التهديد مثل «حضر حالك جايينكْ منشان مريض بالكسرة وهناك نتفاهم ونتحاسب عَ الآخر» وهكذا. دفعنا الكثير للخلاص والصلح.

القصد أننا لم تكن لدينا ثقافة القانون والمواطنة. «الحقّ» يؤخذ باليد. كان حكم الدكتاتور قد وضعنا في مخمر وأغلق علينا. تخمرنا فعلاً. ومن هذا الوضع وثقافة أخذ «الحق!» باليد خرجنا إلى الثورة. فليس غريباً أن تكون ثورتنا تحت تأثير العنف الوحشي للنظام والمتطرفين الإسلاميين قد انتقلت من هدف الحرية والكرامة واحتمال تحولها إلى حركة تحرير كبيرة إلى الفُرْقة وإلى فوضى أخذ «الحق» باليد، ما يعني العودة إلى المخمر.

قبل يومين فقط وفي نقاش مع أحد إخواننا الثوار الشوام الإسلاميين الذي يمثّل شاماً تقليدية، شغلُ قبضايات يعني، على الرغم من تغطية خطابه بشام الحضارة والتمدن، احتدّ الأخ الثائر وسألني باستهانة «كم سياسياً في الرقة؟» من النقاش تبين أنه يعني أن لا سياسيين في الرقة بينما الشام تعج بالسياسيين الذين يكفون ويمكن تصدير بعضهم لحكم العالم. تماماً عودةٌ إلى المخمر من طريق أخرى، ولكن بالحركات ذاتها وبطريقة رفع غطاء المخمر ذاتها وبأسلوب الاندساس إلى داخل المخمر ذاته وبطريقة إعادة غطاء المخمر ذاتها.

المعنى النهائي لما نقول هو أنْ لا نجاح للثورة دون ثقافة تنظيم مدنية الطابع وحديثة وموحدة هدفها وطن ومواطن لا ثقافة التعصب وأخذ الحق بالعضلات وحدها. نعم ستنتصر أهداف الثورة ولكن بعد سنين طويلة. وسيهترئ المخمر حتماً.

ثوار إدلب يحررون معسكري وادي الضيف والحامدية

تمكن ثوار محافظة إدلب وبعد اشتباكات عنيفة مع قوات النظام من فرض سيطرتهم الكاملة على معسكري وادي الضيف والحامدية، وكانت مجموعات كبيرة من جبهة النصرة وحركة أحرار الشام ومجموعة من كتائب الجيش الحر قد باغتوا الجميع وحرروا الموقعين القريبين من مدينة معرة النعمان في ريف إدلب الجنوبي، ووصلت موجة التحرير إلى قرية معر حطاط، وأمام تقدم الثوار فرّ عناصر النظام مذعورين إلى الأراضي الزراعية، فيما أصبحت الطريق إلى مركز مدينة إدلب مفتوحة أمام الثوار.

وكانت قوات الثوار قد فرضت حصاراً محكماً على معسكري وادي الضيف والحامدية استمر مدة عامين، وانتهت المعركة الفاصلة بأقل من يوم بفضل تكاتف ثوار النصرة وأحرار الشام وعدد من كتائب الجيش الحر، التي اعتمدت تكتيكاً جديداً في قيادة المعركة من خلال غرفة عمليات مشتركة، واستغلالها لعامل الضباب والغيوم التي منعت الطيران الحربي والمروحي من تقديم الإمداد والإسناد لقوات النظام وتغطيةِ عناصرها وحمايتهم على الأرض.

وبعد انقلاب موازين القوى لصالح الثوار، تعالت التكبيرات في عموم جوامع الريف الجنوبي لمحافظة إدلب، وقام الأهالي بتوزيع الحلوى فرحاً وابتهاجاً بالنصر، بالتزامن مع زخم كبير للتحرير قد ينتشي به ثوار محافظة حلب، ويسهم في تعزيز معنويات ثوار حماة، ويحفزهم لاستعادة مدينة مورك التي خسرتها قوات المعارضة سابقاً، في ظل تراجع معنويات جيش النظام المهزومة.

وتفيد الأنباء الواردة من قلب الحدث بسقوط وادي الضيف بشكل كامل ووقوع نحو ٣٠٠ قتيل و٢٥٠ أسير من قوات النظام في حصيلة أولية للعمليات العسكرية خلال يوم واحد من القتال بين الطرفين، وتدمير عدد من الدبابات والآليات الثقيلة ومستودعات للذخيرة، ومع ارتفاع حدة المعارك كان يسمع نداءات الاستغاثة بالنظام عبر الأجهزة.

وقال الدكتور عبد الله المحيسني من قلب المعسكر: بعد أن تحول هذا الوادي إلى أسطورة لجيش النظام، ها هو اليوم تتكسر قواته بقدرة الله سبحانه وتعالى، وبفضل ثبات المجاهدين. هنا انكسرت أسطورة وادي الضيف، بعد أن حاول النظام فك حصاره، لكن المجاهدين أبوا إلا أن يفكوه بطريقتهم وأن يأسروا ما فيه من قوات ويغنموا عشرات الدبابات والصواريخ والذخائر.

وأضاف: هذه رسالة إلى كل جندي مازال يحمي بسطار الأسد، إن مصيركم كمصير هؤلاء النتنة الذين ألقاهم النظام وتركهم ثلاث سنوات، ولم يسعَ لتحريرهم حتى قُتلوا بأيدي المجاهدين.

وتكمن أهمية معسكري وادي الضيف والحامدية في أنهما أكبر معسكرين في ريف إدلب، وفيها أكبر خزانات للوقود بأنواعها، ويحوي أكثر من ٥ مليون ليتر وقود يمد قوات النظام بالشمال، وهو أكبر مستودع للأسلحة والآليات الثقيلة، ويقدم خدمات الإمداد للمنطقة الشمالية كافة بسبب موقعه الاستراتيجي، وتقع المعسكرات في وادي محاط بأربع هضاب تحتها كل أنواع المستودعات البترولية.

ويعتبر من أهم مراكز الإمداد للنظام في الشمال لإطلالته على الطريقة الدولية التي تصل العاصمة دمشق بمدينة حلب، وسيعتمد النظام بعد خسارته للموقعين على طريق بري واحد من ميناء اللاذقية إلى حلب لإرسال الإمدادات إلى قواته التي تقاتل لاستعادة السيطرة على حلب ثاني أكبر مدينة في سوريا.

من جهته أكد إعلام النظام أن وحدات الجيش السوري المتمركزة في وادي الضيف والحامدية نفذت انسحاباً باتجاه بعض النقاط العسكرية القريبة إثر حصار دام لأشهر عدة، واشتباكات عنيفة مع المتطرفين.

وداعاً حسن الكبة

في مدينة شانلي أورفا وبعد مرض مفاجئ، انتقل إلى رحمته تعالى أحد مثقفي الرقة **المرحوم حسن الكبة «أبو حازم»**، وقد دفن في مقبرة أورفا التركية يوم الأربعاء ٢٠١٤/١٢/١٠ بحضور عدد كبير من أبناء الرقة وأهله الذين كانوا في وداعه الأخير.

«إنا لله وإنا إليه راجعون»

مساومات بغيضة وممارسات مرعبة

دفع مبالغ كبيرة لقاء فك أسر المختطفين في الرقّة!

عبد الكريم البليخ

تعرّض الكثير من أهالي مدينة الرقّة لحالات الاختطاف، ودفع مبالغ مجزية من أجل فك احتباس هذا الشخص المختطف أو ذاك. وكانت محور أحاديث كثيرة جداً عايشها ابن الرقّة في الفترة الماضية، ولا زالت أمثال هذه الصور المؤلمة عالقة، وتأخذ أبعاداً شتّى لقاء دفع الفدية، وهذا ما تعرّض له أناس كثر في مدينة الرقّة، وريفها، وما رافقها من نتائج لم تُحمد عقباها.

هذا المشهد تواصل مع تزايد ظهور أمثال هذه الحالات التي صارت أشهر من نار على علم، وراح ضحيتها شباب بعمر الورود، ولم يكتفِ أهلهم بدفع الفدية، وإنما تعرّض بعضهم، فوق ذلك للقتل!

وإذا ما عدنا إلى ألوان العذاب الذي اقترف بحقهم فهو يتعدى حدود الضمير الإنساني الذي وحده حدد نتاج هذه المشكلة، وأبعادها، والتي خيّمت بأحداثها، ونكبتها على المجتمع الآمن ككل، والذي كان يعيش أيامه بأمان واطمئنان.

مساومات بغيضة..

ولا يمكن بأي حال تصور هذا المشهد المؤسي الذي اندمجت في ظلّه صور عدّة، وأفرزت نتاجات مزدوجة لهذه الوقائع، والتي نحاول قدر الإمكان استعراض بعضها، من خلال اللقاء الذي جمعنا مع بعض الأشخاص وذويهم الذين عايشوا هذه المأساة بكل أبعادها، وجهاً لوجه، مع بقاء وجود الأشخاص الذين تعرّضوا للاختطاف في جانب آخر من هذا الحديث الذي كان له خصوصيته المطلقة، وأدلوا بآرائهم لـ«الحرمل» الذي تابع مجريات ما حدث في الفترة التي عايشتها مدينة الرقّة، وقراها المتعثّرة، جانباً من هذا الحدث الذي ترك تساؤلات عدّة!

(ح.ع)، وهو شاب في مقتبل العمر لم يتجاوز التاسعة عشرة ربيعاً، والذي تعرّض لعملية اختطاف، وهو لازال وإلى اليوم بانتظار الإفراج عنه، ومنذ ما يزيد عن الثمانية أشهر، ومصيره ظل مجهولاً، ولم يعرف أهله بعد مكان إقامته بالضبط على الرغم من دفع المبلغ الذي طلب منهم بعد تأكيده!

يروي لنا والده ما حدث، فقال: اتصلت بنا جهة ما، لم نعرف من هي، وقالت لنا، وبالحرف الواحد: «ولدكم موجود لدينا بالحفظ والصون، ويمكنكم فك أسره لقاء دفع فدية من المال، وهو مليون ليرة سورية، وسيكون في أحضانكم خلال فترة قصيرة جداً».

وبعد جدال، وأخذ ورد، لم يتمكنوا من تأمين المبلغ المطلوب دفعه، فتم الاتصال بهم مرةً ثانية، وقالوا لهم: «مشان خاطر ع يونكم» نكتفي بإرسالكم لنا مبلغ ٥٠٠ ألف ليرة، ما دامت أوضاعكم المادية صعبة للغاية».

ويقول أبو حسام، والد الشاب (ح) ليس باليد حيلة، حاولنا، ومن خلال علاقاتنا الأسرية، من جمع ما نستطيع جمعه، من المال، لدفعه لهم، وهو مبلغ بسيط لا يتجاوز الـ١٠٠ ألف ليرة، فاتصلوا بنا من جديد، وقالوا لنا: نحن لا نريد مالاً، وابنكم في عهدتنا، وقرّرنا إرساله لكم دون مقابل، وبعد طول انتظار عاودوا الاتصال بنا مرةً أخرى، وقالوا له: نكتفي بإرسالكم مبلغ ١٢٥ ألف ليرة، وبالفعل وصلهم المبلغ الذي تم تحديده من قبلهم، وعلى ضوء ذلك تقرّر إرسال ولدهم.. واستمرت المساومات البغيضة بين أخذ ورد، وما زال أبو حسام وزوجته وأخواته بانتظار الإفراج عنه، وعودته إلى بيته.

ضمير غائب!

وإذا ما عدنا إلى حالات الاختطاف التي تعرّض لها أبناء الرقّة، فانَّ بعضها لم يخلُ من الطرافة.

ومن بين الصور التي سجلت حالات اختطاف، صورة لشاب لم يتجاوز الـ٢٨ ربيعاً، وبعد جدال مع المختطفين نزل المبلغ ودفع الفدية إلى مليوني ليرة لقاء فك أسره من بين أيدي العصابات الإرهابية التي اختطفته من بيته، بعد احتجاز والده وأحد إخوته.

والحال كذلك بالنسبة للمواطن (ص) الذي ظل مختطفاً لأكثر من ثلاثين يوماً، وطلبوا منه دفع مبلغ ثلاثة ملايين ليرة، وبعد محاولات اضطر أهله إلى استدانة المبلغ، وجمع المساعدات من أهل الخير حتى تمكنوا من تأمين المبلغ بالكامل وأفرج عنه أخيراً.

والصورة تنطبق على أحد الفلاحين الذي دفع مبلغ ثلاثة ملايين ليرة، من أجل الإفراج عنه، والتي تم تأمينها، وبمساعدة أهله، وإلاّ كان مصيره القتل لا محالة.

والأغرب من ذلك أنَّ المختطفين قاموا باختطاف الشاب (ط.خ) أثناء خروجه من منزل أحد أقربائه صدفةً، في الوقت الذي كانت فيه سيارتهم المدججة بالمسلحين مارة من أمامه، وكان نصيبه الاختطاف ونقله في السيارة التي تضمّ بداخلها عدداً من المسلحين الذين قاموا باحتجازه، وبعد نقله إلى مكان إقامتهم اتصلوا بأهله لدفع المبلغ الذي فرضوه عليه، فاعتذروا منهم لأنه لا يوجد لديهم أي مبلغ يمكن دفعه لقاء فك أسره، ولم يكتفوا بذلك بل أنهم مارسوا بحقه أقسى أنواع العذاب، وقاموا بضربه، كما تعرّض لممارسات لا يمكن أن يتقبلها عقل، أو أي ضمير إنساني، واكتفوا بأن يدفع لهم مبلغ ٥٠ ألف ليرة فقط!

وكما يؤكد أهل المختطف بأن هذه العصابة المجرمة المارقة اكتفت بدفع هذا المبلغ لتغطية مصروفات المحروقات الخاصة بالسيارة الخاصة بهم، والتي قطعت مشوار المسافة، إلى حيث يقيمون، وهذا النوع من الاختطاف لم يخلُ من الطرافة جرّاء هذا الفعل الذي مورس بحق هذا الشاب الذي لا حول له ولا قوّة، والذي ظل يعاني من هذه الأزمة التي تعرّض لها، وهو إنسان فقير الحال لا يملكُ قوت يومه!

فكيف بحال هذه الممارسات والضغوطات التي نالت من الأهلين، وبصورةٍ خاصة، الشباب منهم، الذين تعرّضوا للاختطافات تحت تهديد السلاح، ودفع الفدية، وظلت هذه الصور لها حرفيتها، وجهلها لدى البعض ممن لم يقعوا ضحية هذه المشاكل والتي أخذت أبعادها، وجانباً من اهتمام الناس الذين عايشوا هذا الواقع وبكل أبعاده.

ممارسات مرعبة..

ومن صور الاختطاف والسرقة التي تركت أكثر من إشارة استفهام، وغصّة في الحلق، وهي التصرفات المشينة التي تنادي بها هذه العصابة، والتي تفاخر بهذه الممارسات المؤسفة التي اتخذت منها الطريق الأسهل لسلب الناس، وسرقة مدّخراتهم، وهذا ما حدث مع المواطن (ع.ع) الذي فزع من هول الصدمة التي عاشها خلال فترة احتجازه لديهم، والتي استمرت لأكثر من عشرين يوماً، والمعاناة التي عايشها خلال فترة إقامته الجبرية هناك، وهو الذي فقد ابنه من جرّاء ممارسات هذه العصابة التي اختطفته.

إن فقدان ابنه الشاب، وقتله من قبل هذه العصابة، بعد اختطافه، لم يَشفَع للمدعو (ع) من أن يعتدوا عليه، وقاموا بضربه ضرباً مبرّحاً، وأفعالهم وتصرفاتهم هذه خرجت على كل المفاهيم والقيم والشرائع والأعراف والقوانين الدنيوية، واحتجازه لفترة طويلة، وتعذيبه بشتى صنوف العذاب مكنتهم من أن يخضع لرغباتهم، وإرغامه على دفع أكثر من أربعة ملايين ليرة، رغم فقد ابنه، وهو الآن حبيس البيت يعاني من هول الصدمة التي حلّت به!

حالات الاختطاف هذه، وما رافقها من دفع الفدية لقاء فك أسر المختطفين في محافظة الرقّة، عانى منه كثيرون، كما ويمكن أن نذكر أن من بين الذين تضرّروا لقاء هذا الواقع المؤسي، وحالات الاختطاف، ما تعرّض له أحد العاملين في إحدى المديريات العاملة في الرقّة، والذي اضطر إلى دفع مبلغ مليوني ليرة لقاء الإفراج عنه، وكذلك الحال بالنسبة لأحد المدراء المركزيين في الرقّة الذي اختطف ابنه البكر، وهو طالب في الصف الثالث الثانوي، من قبل مجموعة مسلّحة. ففي صباح باكر من أحد الأيام، وبعد مضي ما ينوف عن الـ٢١ يوماً تم الإفراج عنه بعد دفع المبلغ المحدّد والذي لم يعلن عنه بصورة واضحة، وظل حتى هذه اللحظة، سرّي للغاية، وعدم الكشف عنه، كما لم تخلُ ساحة الاختطاف التي شهدتها الرقّة من خطف أحد أبناء المفتشين العاملين في الجهاز المركزي للرقابة والتفتيش، بعد مساومات طالت.

العيش بأمان..

وطالت عمليات الخطف (أ.م) العامل في مديرية الزراعة في الرقّة، والذي طلب منه مبلغ ٢٠ مليون ليرة لقاء الإفراج عنه، ولازال محتجزاً ولم يُعرف مصيره بعد.

إنَّ هذه الحالات المتكرّرة لعمليات الاختطاف، ودفع الفدية لقاء عودة المختطفين إلى منازلهم، والتي عايشها ابن الرقّة خلال فترة الفلتان التي قلّبت المواجع، وتركت مؤسياتها على أهالي المدينة الذين استغربوا هذه الصور، وحدوث هذه الحالات، والتي لم يَنفذُ منها ابن المدينة، وريفها الذي عانى ما عاناه لقاء هذا الواقع المؤلم، والذي ظل حاله يشكو وقوع أمثال هذه القضايا والمسائل، وما رافقها من خوف ورعب حقيقي، ولا زال لسان حاله يقول: إلى متى تظل أمثال هذه الصور على هذه الحالة، والتي نريدها أن تثمر ربيعاً مزهراً، وتمضي بنا إلى ناصية المحبة والسلام، والعيش بأمان واطمئنان؟!

مشفى وحيد في دير الزور

انعدام فرص الحياة للأطفال في ظل غياب الكوادر الطبية وشح الدواء

غياب كامل لوزارة الصحة في الحكومة المؤقتة وتعذر وصول إعانات المنظمات الدولية

نقل إلينا أحد العاملين في منظومة الصحة المتبقية في مدينة دير الزور معاناة أهلنا هناك في ظل انعدام فرص الحياة الإنسانية، يقول: الحياة المدنية مزدحمة في أسواق وحارات دير الزور، وتعبر عن وجود سكاني كبير، وهو ما يتطلب حاجة كبيرة للطبابة والاستشفاء في ظل عدم وجود مستشفيات مطلقاً، عدا عن مشفى وحيد تم تجهيزه منذ سنة تقريباً من أنقاض المشافي الأخرى التي تعرضت للقصف الهمجي، وتحول مع الأيام إلى مشفى كبير يضم معظم الاختصاصات الطبية، لكن ينقصه الكثير من المعدات والمستلزمات الطبية والمستهلكات اليومية، وعدم توفر التغطية المالية للكادر والأمور الأخرى الملحقة بعمل هذا المشفى. وتقديم الخدمات الطبية بنظام الاستشفاء المادي حتى الرمزي غير ممكنة بسبب سوء الأحوال المادية والاقتصادية داخل المدينة وخارجها. وعدم وجود أريحية بالعمل، وتوفير الدعم المادي اللازم يزيد الأمر صعوبة في استقطاب كوادر طبية وتمريضية وفنية جديدة، أو الحفاظ على الكادر الموجود.

ويضيف قائلاً: يتم التركيز الأكبر على الإسعافات الحربية، وأغلب الدعم يوجه للمصابين نتيجة الأعمال الحربية، مع ملاحظة إهمال الأمراض الاعتيادية بشكل كبير، ومعظم الحالات يتم تحويلها بسبب قلة الإمكانات الطبية كالاستقصاءات، وعدم امكانية المتابعة للحالات التي تستلزم القبول، وهناك نسبة وفيات كبيرة للحالات الخطرة حتى مع التحويل، حيث معظم المرضى يموتون على الطريق أو بعد الوصول بسبب تأزم حالتهم الصحية، وأكثرها حالات نقص الأكسجة الولادية.

ويؤكد أن العاملين في هذا المشفى، قاموا بمراسلة الكثير من المنظمات الإنسانية دون جدوى، مع ملاحظة وجود تلاعب عند الأشخاص المعنيين بعملية التواصل في كثير من الأحيان، ولا يعرف ما هو السبب، فيما لا تهتم وزارة الصحة في الحكومة المؤقتة، ولا المنظمات الإنسانية بهذا الواقع المؤلم إطلاقاً، مشيراً إلى ضرورة تأمين مخبر جيد وجهاز تصوير أشعة وجهاز طبقي محوري خاص بقسم الأطفال، وتأمين الكادر الفني والطبي اللازم لمعالجة الحالات المرضية الكثيرة، والتي ينجم عنها في كثير من الأحيان وفيات الأطفال بسبب قلّة الكادر لمراقبة الحالات أو لإعطاء العلاج أو الحاجة لجهاز معين مثل المعالجة الضوئية أو الحاجة لتحاليل بسيطة تساعد في عمليات الاستقصاء المرضي.

الحرملي

الموت ترفاً..!

يوسف دعيس

تعرضت المشافي والمراكز الطبية في محافظتي الرقة ودير الزور إلى ضربات منظمة ومكثفة، اشترك فيها الطيران الحربي والمروحي، إضافة لاستهداف معظمها بصواريخ بعيدة ومتوسطة المدى، والمدفعية الثقيلة التابعة لقوات النظام السوري، ما أدى لخروج معظمها عن الخدمة الفعلية.

ترافقت العمليات الحربية الموجهة على مرافق الصحة العامة مع ندرة وشح للدواء، والمستلزمات الطبية الأخرى، إضافة إلى هجرة معظم العاملين في القطاع الصحي، ومنهم الأطباء الاختصاصيين إلى مناطق أكثر أمناً في الداخل السوري أو إلى خارج الوطن، كل ذلك جعل من فرص الحياة للمرضى والمصابين الناجين من القصف تكاد تكون شبه معدومة.

في الجانب الآخر تخلّى النظام السوري عن إمداد هاتين المحافظتين الخاضعتين لتنظيم الدولة الإسلامية بالدواء والمعدات والأجهزة الطبية، ما خلا منطقة صغيرة من مدينة دير الزور خاضعة له، ممثلة بأحياء الجورة والموظفين والقصور ومعسكر الطلائع، وهي أوفر حظاً في الحصول على أسباب النجاة من المرض.

المعاناة في محافظتي الرقة ودير الزور في تفاقم، فمرضى الكلى في الرقة يعانون الألم، ويفقدون فرص الحياة يوماً بعد يوم، فالطيران الحربي ونتيجة قصفه المتكرر للمشافي في الرقة والطبقة ومعدان قضى على آخر أمل لهم بالشفاء، عندما أخرج أقسام الكلية عن الخدمة، ودمر أجهزة الغسيل الكلوي بالكامل، إضافة لأجهزة التحليل والتصوير، وإتلاف الأدوية بأنواعها المختلفة. أما بالنسبة لمحافظة دير الزور فقد انتشرت أمراض السل وشلل الأطفال واللاشمانيا والتهابات الكبد بأنواعها على نحو يُنذر بخطر محدق يحيق بأهلنا في ظل عجز الجهاز الطبي هناك عن انقاذ الأطفال من أمراض صغيرة من الممكن أن تكون مميتة، نتيجة عدم توفر أبسط مقومات الحياة.

من جهتها تفتقد الحكومة السورية المؤقتة، ممثلة بوزارة الصحة لأسس صحيحة للتواصل مع هاتين المحافظتين، والتنسيق مع كوادرها الصحية المتبقية، وتعجز عن إيصال الدواء، وتوفير الأجهزة الطبية اللازمة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، يقابلها تعثر شبه تام للمنظمات الإغاثية في عمليات الوصول إلى هذه المناطق.

في ظل تراجع أداء عمل القطاع الصحي، وانعدام فرص التواصل معهم، وتعثر وصول الدواء، وتعذر أسباب النجاة، صار بإمكاننا القول إن الموت المحتم يتربص بأهلنا، فمن ينجو من القصف، يموت نتيجة تعرضه إلى النزف أو بتر الأعضاء، ومن يتجاوز هذه الصعاب من الممكن أن يموت بالتهاب بسيط، ليس ترفاً لكن في ظل ندرة الدواء وشحه، لذلك لابد من قرع ناقوس الخطر، والبحث عن حلول ناجعة، وأن تجد وزارة الصحة في الحكومة السورية المؤقتة الطريق الصحيح لإيصال المستلزمات الطبية والدواء لهاتين المحافظتين، وأن تضطلع بمهامها وتقوم بالتواصل مع الجهات الداعمة، وتزويدها بالبيانات الحقيقية عن واقع قطاع الصحة في هذه المناطق، وأن تجد معها حلولاً لواقعها الصحي المتردي. وإذا لم يتم ذلك في القريب العاجل ستعجز مستقبلاً عن تدارك بوادر الكارثة التي تحيق بأهلنا هناك.

حوار مع المفكر الاسلامي د. خالص الجلبي

حاوره د. حمزة رستناوي

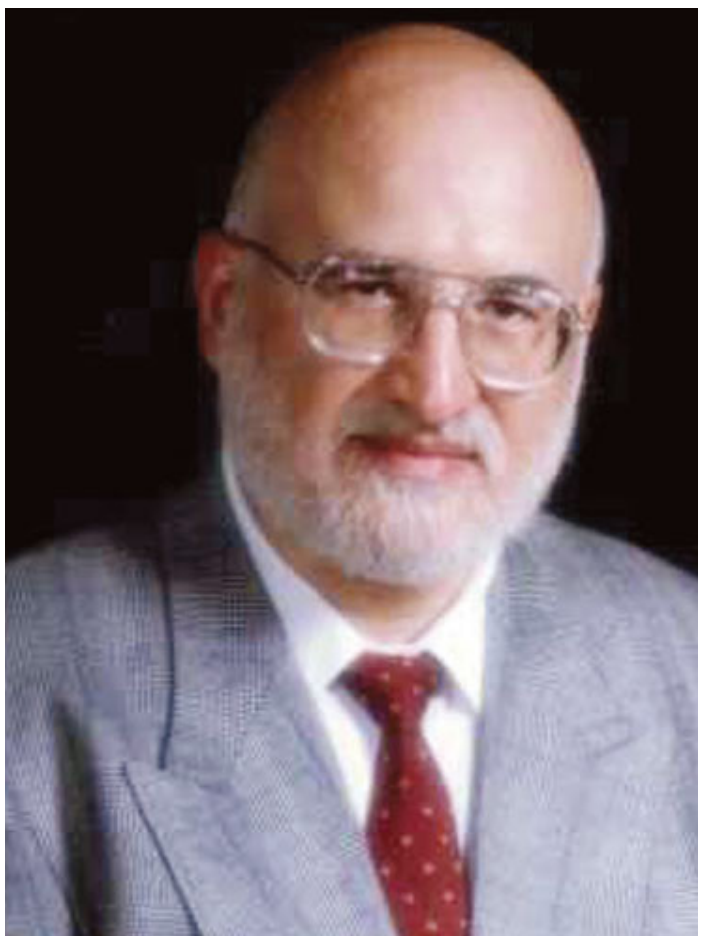

س١ : هل نستطيع القول إن الثورة السورية فشلت؟ ولماذا؟

الجواب الأول: الثورة السورية انحرفت عن مسارها السلمي إلى العسكري، وهذا يعني تلقائياً أن قرارها لن يكون بيدها كلية ـ على الأقل ـ فالقتال والاحتراب العنيف يعني التسلح، وهذا بدوره يحتاج إلى أسلحة بيد دول، وهي تحتاج لتمويل، وبالتالي دخول دول على الخط عندها أجندتها الخاصة، تتحكم في قرار النصر والهزيمة العسكرية. هذا مع العلم أن النصر العسكري خطير ولو جاء من أي طرف؛ فهو بالنسبة للنظام موت سوريا إلى نصف قرن قادمة أو أقل، بانتظار ثورة جديدة، وإن انتصرت المعارضة المسلحة انطبق عليها ليلة نكاح العنكبوت، أي أن الجناح العسكري يلتهم المدني. كما حصل مع صدام وعصابته، والأسد ورفاقه الثوريين الذين حكموا على مؤسس الحزب ميشيل عفلق بالإعدام، وقتلوا الرجل الثاني في الحزب صلاح البيطار في شوارع باريس. وهذا القانون ينطبق على كل التجمعات الإنسانية وليس العرب استثناء منها.

س٢: ما هو رأيك بمشروع دولة الخلافة الإسلامية؟

الخلافة الإسلامية خرافة. والدولة الإسلامية خرافة أكبر. ووظيفة الدين أي دين أو مبدأ إصلاحي يهدف إلى ثلاث: إرساء العدل الاجتماعي، وترسيخ السلام بين الأنام، وتكوين البوصلة الأخلاقية عند الفرد؛ فالفرد دون دين وحش، والتخلص من المؤسسة الدينية واجب فهي وحش كاسر، أينما كانت ومهما دانت، من قم إلى الفاتيكان إلى الأزهر، فهذه المؤسسات عبر التاريخ كانت وظيفتها ومازالت تكريس الطغيان السياسي، واغتيال العقل المنظم.

تأمل خطب الجمعة في طول وعرض العالم الإسلامي؟ إنها لا تستحق عناء الاجتماع؛ حيث يتكلم الخطيب عن فواكه الجنة، والمواطن يعيش جحيماً أرضياً، ويتحدث عن رؤية الله والمواطن لا يرى إلا وجه الشرطي العابس وسوط المخابرات وغدارة الجاندرما.

س٣ : ما سبب ظهور داعش، وما هو تفسيرك للعنف الوحشي الذي يقومون به من قطع الرؤوس ونحوها؟

الدين يمكن أن يكون إيديولوجيا أو رحمة، حسب نوعية الثقافة التي يحملها الفرد، فالصوفي رحمانية، والوهابي يحمل قساوة الصحراء. وبين ذلك توجد فرق لانهائية من المسلمين ونسخ منوعة. ونسخة داعش هي ذلك المزيج الانفجاري من شباب متمرد حاقد محبط يمضي إلى نهاية الشوط في التطرف الأقصى، ويرى في الآخر كافراً حلال الدم. وهذه النسخة الإيديولوجية لها نماذج من الفاشيين والنازيين والقرامطة والأزارقة والشيعة والشيوعيين، والبعثيين العبثيين، والقوميين والناصريين والاشتراكيين؛ فهم ليسوا بدعة بل نسخة إنسانية قابلة للتشكل حين اجتماع ظروف تكونها.

س٤: ما حكم الإسلام في اليزيديين؟ والأديان الأخرى من غير أهل الكتاب؟

الجواب ورد في القرآن، وفي أكثر من موضع، بأن اليهود والنصارى والصابئين ومن يدخل في طريقتهم وديانتهم ومذهبهم، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، طالما آمنوا بالله واليوم الأخر وعملوا صالحاً. والقرآن حارب فئتين من حزب الشيطان هما أصل بلاء المجتمعات: المستكبرين والظالمين، وحين تساءلت الملائكة عن جدوى خلق الإنسان كان اعتراضها على سفك الدم وليس الكفر.

س٥ : هل الجزية واجبة على غير المسلمين الآن؟ وكيف نعطّل حكماً ورد في القرآن الكريم وطبقه المسلمون في تاريخهم بمن فيه الخلفاء الراشدون؟

الجزية هي حالة القذافي، التي دفعها عن يد وهو صاغر، وهي حالة حربية بين المجتمعات، كما في دفع تعويضات الحرب، على النحو الذي فعلته أوربا مع ألمانيا في الحرب العالمية الأولى.

أما بقية البشر والطوائف والمذاهب والملل والنحل في المجتمع الإسلامي؛ فهي تعامل على أساس المواطنة، لهم مالنا وعليهم ما علينا، في شريعة العدل، التي أمرنا الله أن نقسط فيها، ولو على أنفسنا والوالدين والأقربين، وعلى بقية الأديان والآراء والأحزاب ولو عبدوا الشياطين والجرذ والجراد والقمل والضفادع.

س٦ : ما رأيك في العلويين هل هم مسلمون أم أنهم فئة من الشيعة أم هم أصحاب دين مستقل؟

العلويون أقسام ثلاثة: الإسماعيليون والمرشديون وفريق ثالث (الملتحم بالسلطة في سوريا) من كلازية وحيدرية. ومشكلة السوريين معهم ليسوا بما يعتقدون ولكن باستئثارهم بالسلطة؛ وبغيهم، وهم ليسوا سواء كما علمنا القرآن، فالظالمون منهم عائلة الأسد ومن دعمهم، وليس كل عائلة الأسد، بل بمن تورط في القتل والدماء، وهناك الكثير من العلويين الذين يخافون كما هو الحال في الكتلة الرمادية السورية الخائفة. ولذا يجب أن نركز على فكرة الظلم والاستكبار أكثر من الطائفة، ففي كندا من الطوائف أكثر مما هو موجود في سوريا، ولكن لا يستأثر بالسلطة ومعها الظلم تلقائياً أي طائفة وحزب وجماعة، بل هو قانون يحكم بالعدل عموماً، ولذا لا مجال لحروب ودماء، وحين اختلف الكنديون قاموا بالتصويت لانفصال مقاطعة كيبك، فكانت النتيجة أن حكمت الأغلبية على بقاء كندا موحدة، وبالمقابل صوت التشيكيون بالانفصال دون قطرة دم واحدة، أما الصرب الشبيهون بالشوفينيين من العلويين وبني صهيون فأبوا إلا الدم فتدفق مهراقاً.

س٧: هل يعتبر صحيح البخاري ومسلم من مصادر التشريع في الإسلام؟

علينا أن نركز على مفهوم العدل؛ فحيث العدل فثم شرع الله، وأي حديث أعرج مضطرب لو كان في البخاري والصحاح التسعة، ويتصادم بشكل أساسي مع النص القرآن يتم الاستغناء عنه، ولو كان سنده من بلاتين وفضة، كما في الكثير من الأحاديث (الصحيحة) العرجاء الشوهاء الصلعاء مثل حديث قتل المرتد، ما يشكل معضلة إجرامية لمن يريد أن يغير قناعاته.

س٨: هل الحجاب وتغطية شعر الرأس للمرأة من أحكام الشريعة الإسلامية؟ وما هو حكم السفور؟

اللباس ليس من العقيدة، وعلى المرأة المسلمة أن لا تعمد إلى الإثارة الجنسية في لباسها بكشف الفخذ والنهود وما شابه، مع العلم أن هذا في قبائل الفيليبين وغينيا ونيوزلندا عادي، لأن العري هو ثقافة، ففي أوربا حيث تورط هولاند الرئيس الفرنساوي في علاقة جنسية مع فتاة خلفها الغراء والإغراء، ومنه فاللباس للفتاة المسلمة يجب أن يحمل شعار التقوى، وفي سورة الأعراف كلام واضح عن وظائف اللباس؛ أنه للظرف المناخي، وللجمال مثل ريش الطيور، والحشمة، ولكن المسلمين اليوم يعتبرون أن اللباس أهم من الشهادتين والصلوات والحج، في قلب لأولويات الإسلام. وهذا الانقلاب في الترتيب هو بسبب الاهتمام بالقشرة أكثر من اللب، ومحاولة السيطرة الجنسية على المرأة.

علينا أن نترك لباس المرأة للمرأة، تتأنق وتلبس كيف تشاء، في إطار الحشمة والأناقة والجمال والجانب العملي. انظر مثلاً إلى الكعب الذي يرتفع ٢٥ سم عن الأرض كم هو سخيف، وكم يتسبب في تشويه ومرض الساقين ولكنها عبادة الموضة؟ فهل نقول لبناتنا افعلوا هذا؟

س ٩ : لماذا يقتتل السنة والشيعة بينما توقفت الحروب الدينية بين المسيحيين في العالم منذ مئات السنوات؟

لأن الجنون هو سيد الموقف، وغياب العقلانية، والتوقف عند مربعات التاريخ، لأمور لسنا مسؤولين عنها، ومن يستفيد منها في النهاية المؤسسة الدينية التي يجب أن نريح العباد منها.

س ١٠ : هل الامبراطورية الأمريكية في حالة تراجع وضعف أمام القوى الصاعدة مثل روسيا والصين؟

أمريكا مفلسة، ولن يطول الوقت حين تتحول أمريكا إلى دولة من الدرجة الثانية، في نصف القرن القادم. اقرأ كتاب باول كندي عن الاستعداد للقرن الواحد والعشرين، حيث يذكر أن إنتاج أمريكا العالمي سيتراجع من ٣٥ بالمائة إلى ١٨ بالمائة في الثلاثين سنة القادمة.

وحسب سوانسون في كتابه الإفلاس القادم فإن أمريكا تخطت عتبة إمكانية الإصلاح الاقتصادي، ولو أن البترول يتم بيعه بغير الدولار فسوف يركب بوش بسكليت ويصبح الدولار ورق دورات المياه عفواً، والأمريكيون يعيشون فوق إمكانياتهم، وربعهم مريض بالبدانة والسكر، وربع بالاكتئاب والنحس، وربع يركض للربح السريع المجنون وتكوين الثروات ولو بطرق الحرام، وقليل من عبادي الشكور. والمستقبل هو للصين ودول المحيط الهادي حيث العمل الدؤوب والإنتاج الحلال. راجع في هذا كتاب آفاق المستقبل لجاك أتالييه مستشار ميتران الأسبق.

س١١: ما هي توقعاتك بالنسبة لإيران ومستقبل الشرق الاوسط؟

أخطأت إيران كثيرا في قتل الأطفال السوريين، والمراهنة على المعتوه بشار البراميلي، ولكن شهوة التوسع هي مثل قصة الجرذ والمصيدة وقطعة الجبن. وهم يقولون أن خسارة دمشق يعني أنهم لن يحتفظوا بطهران وعبدان. وهو ما سيحدث في نصف القرن القادم التي ستتغير فيها شعوب المنطقة بمن فيها الشعب الإيراني، والمستقبل هو لدول تقوم على العدل والعقلانية، وليس على مسرحيات تاريخية، ولطم الوجوه، وسلخ الجلود بالسلاسل والسواطير لقضايا انتهت وعف عليها الزمن، ولكنها المؤسسة الدينية؟ وكسب ٢٠ بالمائة من جيوب المغفلين، كما هو الحال في كل المؤسسات الدينية قديماً وحديثاً. تأمل في الملابس والقلانس والقبب والعمائم والملابس المزركشة اللامعة لرجال الدين هل يشبهون في شيء الأنبياء الذين جاؤوا بالكلمة الطيبة.؟

جاء في الإنجيل عن هذا النموذج أنهم يطيلون صلواتهم ولحاهم، ويحبون المجلس الأول في الولائم، وأن يقبل الناس أيديهم ويتبركوا بهم. قال المسيح عنهم: إنهم مثل القبور من الخارج مطلي أبيض ومن الداخل نجاسات وعظام أموات.. والويل لكم يوم الدينونة.

س١٢: هل تدخّل أمريكا في قتال داعش سيكون لمصلحة السوريين أم مصلحة الأسد وإيران؟

لمصلحة أمريكا فهي تنصر فريقاً على فريق بما هو في مصلحتها أكثر من مصلحة أي طرف هل سمعتم بقصة القطين وقطعة الجبن والقرد الناسك؟

زعموا أن قطين تنازعا على قطعة من الجبن الشهي فأرادوا الاحتكام إلى قرد ناسك عابد شاع ذكره أنه أعدل العادلين قد نصب ميزانه، وهو يقول أنا العدل أنا المساواة أنا الديمقراطية..

اقترب القطان منه وهو منشغل بالصلاة بجنب البحر، حتى إذا فرغ من صلاته وتسبيحاته التي لا تنتهي التفت إليهما وقال يا أولادي ماذا تريدون؟

قالا قطعة الجبن تنازعنا عليها ونريد العدل والإنصاف.

قال حسناً ثم قطع الجبن قطعتين ووضعها على كفتي الميزان، وهو يقول ليس أفضل من العدل، ولا أروع من المساواة.

كان الخبيث قد عمد إلى زيادة أحد القطعتين عن الأخرى، والآن من أجل تعديل كفتي الميزان نهش قطعة من الزايدة.

بلع القطان ريقهما هما يريان أول ذوبان الجبن في حلق القرد الناسك المتعبد.

ولكن هذه العملية تكررت، والقطان يذوبان حسرة، والجبن يذوب في حلق القاضي الديموقراطي العادل.

حتى إذا فرغ من الوزن كان ما تبقى في أحد الكفتين قطعة صغيرة عاجلها بالتهامها وهو يحدق في القطين قائلا: هذا جزاء أتعابي؟ ما رأيكم

فهذه هي قصة داعش وأمريكا وبشار الكيماوي البراميلي وإيران.

تذكروا سوريا... لا تنسوا الثورة

فواز تللو

النصر صبر ساعة، والساعة في عمر الثورات عبر التاريخ سنوات، وقد مضى أكثرها، وبقراءة سياسية وعسكرية واعية، ورغم كل الفوضى السياسية والعسكرية التي تعيشها الثورة السورية والنظر للمشهد كاملاً من أعلى بالخروج من خضم التصريحات والمماحكات السياسية اليومية وتفاصيل المعارك (بمحصلتها الإيجابية في النهاية) وتفاصيل الثورة اليومية بسلبياتها وإيجابياتها؛ عبر مشهد كامل من الأعلى أقول إننا سنعود لسوريا أعزاء وستنتصر الثورة ولو استغرق الأمر سنة أخرى أو اثنتين، وربما أكثر (لكن الاحتمال ضئيل أن يتأخر النصر إلى أكثر من ذلك) نعم سنعيش بعدها فترة من الفلتان، والفوضى لم يعد من مجال لتجاوزها ولست بصدد مناقشة أسبابها، لكنها ستمر بسرعة بعد أن نكون قد انتهينا من البلاء الأكبر متمثلاً بالنظام الطائفي بكل حضوره وتجلياته في مفاصل دولة سوريا الجديدة.

لكن تأخر النصر والفوضى التي ستليه إيجابيات أيضاً، هي بمثابة فترة تطهر فنقاهة، تطهر لا يتم إلا بثمن ومعاناة أيضاً، تطهر من أدران زرعها النظام فينا خلال نصف قرن من أنانية وسلبية وفساد وتخاذل، وتطهر من طحالب ظهرت أثناء الثورة من سياسيين وناشطين ومثقفين ورجال دين ورجال أعمال وقادة اجتماعيين وتجمعات حزبية وقادة عسكريين وتنظيمات تطرف أو تنظيمات تشويل وسرقة، طحالب سقطوا في امتحان الثورة كل من زاوية خاصة به وما أكثرهم، أيضاً طول الأمد تطهر من قشور غطت تدريجياً روح الثورة حتى كادت تحجبها؛ حين الحديث عن إمكانية التشارك مجدداً مع النظام، أو كلام عن خلافة إسلامية وما يحيط بهذه الدعوى السطحية، وكأننا كنا كفاراً في مطالب الثورة الأولى بدولة الحرية والكرامة المدنية الديموقراطية، أو كأن آباء الاستقلال في سوريا الاستقلال ما قبل البعث الطائفي التي قامت الثورة تحت علمها برمزيته؛ كأنهم كانوا كفاراً، دعوى سطحية لأننا كنا وسنظل مسلمين بعقيدتنا وممارستنا وثقافتنا، وهو ما ينعكس تلقائياً في حياتنا ودولتنا وقوانينا دون حاجة لأوصياء يسمون أنفسهم أهل حل وعقد، ويفرضون رؤيتهم وفهمهم للإسلام علينا بالقوة، ومن اقتلع النظام الطائفي بكل جبروته وعلاقاته سيقتلع من يفكر بأي وصاية أو قهر أو فرض على السوريين ولو بالتلطي تحت راية إسلام، ولا حق لأحد بأن يزاود علينا فيه كسوريين.

نعم بنظرة محيطة للمشهد من الأعلى؛ النصر قادم والنظام اليوم ينهار ويتفكك، ومرتزقته يصرخون ألماً، وحلفاؤه تضيق مواردهم المادية والبشرية لدعمه ويتذمرون، والمجتمع الدولي المنافق محشور في زاوية فشله في أربعة ملفات، أولاً في حرب داعش والتطرف «الحقيقي»، وثانياً امتداد اللهيب السوري إلى دول الجوار، وتفجر المنطقة إن طال الأمر، وثالثاً موجة تسونامي (اللاجئين السوريين) التي تهدد أوروبا ودول الجوار، ورابعاً الخوف من انهيار تام للنظام عسكرياً، وبالتالي إنهاء النظام الطائفي ودولته ممثلة بمؤسساتها الأمنية والعسكرية التي تعبوا على بنائها ودعمها خلال نصف قرن، ولا يريدون إسقاط النظام بإسقاطها، فهذه الملفات الأربعة هي التي تحرك المجتمع الدولي لا معاناة السوريين، وهي ملفات باتت ناضجة لتطيح بكل مؤامرات النظام والمجتمع الدولي، فالنظام وأنصاره وميليشياته الطائفيين وحلفاؤه ومرتزقتهم، وإدارة أوباما يعضون جميعاً على يد السوريين لدفعهم للصراخ أولاً من خلال معاناتهم، والمجتمع الدولي يسعى لإنقاذ النظام بمفاوضاته وفق ما يطرح حالياً من حل سياسي كاذب معتمداً على بيع الأوهام بإنهاء معاناتكم من لجوء وتشرد ومعتقلين ومصاعب حياة دون ذكر أن الثمن هو إجهاض الثورة، لذلك تجنب هؤلاء طرح أي رؤية أو برنامج أو تفاصيل عن المفاوضات وأهدافها ومآلاتها العملية.

لا تعملوا على نسيان سوريا، وأيضاً لا تعيشوا في عالم التفكير اليومي بذكرياتكم في سوريا قبل الثورة فهذا لا يفيد في مرحلة اللجوء والنزوح والتشرد والغربة المؤقتة والحصار التي نعيشها، وذلك يضر بنا وبمن حولنا وينشر الإحباط بيننا، قد نعود من وقت لآخر بمناسبة ما لبعض ذكرياتنا في سوريا قبل الثورة لا أن نعيشها في كل لحظات حياتنا اليومية ففي ذلك تدمير لمقاومتكم لتقبلوا عندها بالخلاص بأي طريقة، وعلى حساب أهداف الثورة مفرطين بكل تضحياتكم، ليكن استحضاركم الأساسي واليومي لسوريا في عقلكم وقلبكم ووجدانكم من خلال ما تعيشه سوريا والسوريون اليوم من معاناة وقهر من قبل النظام والمجتمع الدولي، وليس بالتفكير اليومي بالعودة إلى سوريا بأي ثمن كما يسعى البعض لزرعه في عقلنا الباطن بخطاب يستغل معاناتكم لتمرير ما يريد متجنباً الخوض بالرؤية والبرنامج والتفاصيل لكي لا تروا ثمن هذا الطريق، ففي ذلك مقتل للثورة يدفع تجاهه أعداؤنا بوسائل عديدة، بإعلامهم وبخطاب محبط ومقصود من قبل الأعداء المختفين بعباءة أصدقاء سوريا، وعلى رأسهم إدارة باراك حسين أوباما، وبمضمون ما يطرح اليوم من مفاوضات.

نعم لا تنسوا سوريا، لكن تذكروها من خلال الثورة، ولحظاتها الموثقة، ومعاناة السوريين، ومعاناتكم وتضحياتكم لتحافظوا على غضبكم وتصميمكم بداخلكم دون أن يدمر الغضب حياتكم، عيشوا حياتكم اليومية بشكل طبيعي ما أمكن، أينما كنتم في سوريا أو خارجها في مناطق محررة أو تحت الاحتلال الأسدي، عيشوا حياتكم لكن اغضبوا، ليس كل الوقت لكن ولو لمرة واحدة في اليوم، اغضبوا عبر صورة أو مقطع فيديو، لمعاناة أو تعليق أو تصريح أو موقف سياسي لمعارض أو عدو للثورة السورية ولو اختبأ بلباس الصديق، عودوا إلى سوريا بذكرياتكم عبر أيام ومناسبات ساهمتم فيها في الثورة بشكل ما، بمظاهرة أو تشييع أو نشاط ما وتذكروا ما كنتم تتطلعون إليه حينها من هذه الثورة لتتمسكوا به اليوم لا لكي تتنازلوا عنه وعن الثورة بسبب عوائق أو انحراف ما، لا تتنازلوا عن حلمكم من الثورة فبذلك تحققون هذا الحلم، ولا تسمحوا بالانحراف عنه لتحافظوا على روح الثورة وتزيلوا عنها القشور والطحالب، ثورة حرية وكرامة من أجل دولة مدنية ديموقراطية لسوريين أحراراً، لا نظاماً طائفياً يعاد إنتاجه، ولا كلاماً سطحياً عن خلافة إسلامية، عندما تقومون بكل ذلك تحافظون على توازنكم النفسي وقوة اندفاعكم وتصميمكم على العودة إلى سوريا، لا من باب الهزيمة «وبدنا نخلص بأي طريقة» بل من باب الحرية والكرامة والنصر المؤزر الآتي بإذن الله.

الرقة مدينة الرشيد، تذبح من قبل النظام الفاشي وأعوانه الدواعشة

بهنان ياميين

مع بداية الثورة وعند أول عيد يمر على سورية الثائرة، صلى الطاغية الأسدي، مع مفتيه المتشيع الحسون، في أحد مساجد الرقة، وحتى الآن لم يُفهم لما صلّى الأسد في الرقة، وبنصيحة مَنْ مِن مستشاريه، وكما لم يعرف لما فعل ذلك، كذلك لم يعرف آنذاك ماذا كان يبيت الأسد للرقة أو الرافقة كما عرفت أيضاً.

استمرت الثورة ودخلتها الرقة أسوة بباقي المدن السورية، وأول ما قام به أهلها كان إسقاط تمثال المقبور الديكتاتور الأسد الأب، ومع سقوط هذا الصنم، سقط أوائل الشهداء من أبناء الرقة نتيجة غضب النظام من انتفاضة هذه المدينة القديمة، قدم المسيحية في بادية الشام، والتي عرفت عدداً كبيراً من الكنائس والأديرة في الرقة، وأبرزها دير مار زكى، وفي الرصافة التي عرفت أول الكنائس المسيحية، وكان فيها تسع كنائس، أبرزها البازليكا «الكنيسة الكبرى»، التي تجاور مسجد هشام، حيث جدار المحراب يلاصق المذبح، وكنيسة القديس سرجيوس، الذي يعتبر من أوائل شهداء المسيحية.

فجأة انسحبت قوات النظام بلا أي قتال من مدينة الرقة، مخلية المدينة للقوى الظلامية للدولة الإسلامية في العراق والشام، وكانت أول مدينة كبرى تسقط في يد داعش بشكل كامل، لتفرض عليها نموذجاً للدولة الشرعية الإسلاموية، بعد أن فرضت هذا النموذج على مدينة تل أبيض قبلها. من يعرف تواجد قوات النظام يستغرب عدم استخدامه للفرقة السابعة عشرة المتمركزة مع الألوية المرفقة بها في منطقة عين عيسى، التي هي تقريباً في منتصف الطريق بين الرقة وتل أبيض، وهي منطقة تعايشنا فيها مع عشائرها لأكثر من نصف قرن، حيث لم نلحظ أي تطرف إسلاموي في كل محافظة الرقة، فلماذا لم تستخدم هذه القوات، حينما احتلت داعش تل أبيض، المدينة المختلطة إسلامياً ومسيحياً، وهي المدينة المقابلة لأورفا أو الرها، تلك المدينة التي يقال بأن ابراهيم الخليل انطلق منها في رسالته السماوية، ليرتوي وجِماله من عينها، التي عرفت بعين عروس إبراهيم الخليل؟ هذا السؤال المحير والذي لم يفهم حتى الآن.

بقيت الرقة وتل أبيض تحت رحمة داعش، وحتى يومنا هذا، ومارست حكومتها الباغية عسفها وممارستها الإسلاموية على شعب محافظة الرقة الأبية، التي لم تعرف التطرف أبداً في يوم من الأيام، ففي يوم أنزلت داعش الصليب من على كنيسة سيدة البشارة، سار أهل الرقة بذاك الصليب في مظاهرة متحدين بذلك داعش، التي لم تستطع أن تمنع تلك المظاهرة المعبرة عن كونها مدينة متسامحة، وبأن شعبها يرفض رفضاً قطعياً الممارسة الداعشية ضد مسيحيي الرقة.

تسلمت داعش من النظام كل المباني الحكومية والحزبية، بلا أي مقاومة، مما أثار الريبة لدى أهلها، حيث خطفت داعش واعتقلت كل من الأب باولو داليلو، فراس الحاج صالح وإبراهيم الغازي وغيرهم الكثيرين وكلهم من أعداء النظام. لا زال الجميع يتساءل: لماذا خلال سنتي الاحتلال الداعشي للرقة لم تتحرك قوات النظام؟ بل أكثر من ذلك، وبعد أن احتلت داعش الموصل واستعرضت قواتها في ساحات الرقة، سلم لها النظام وبطريقة خيانية بارزة الفرقة السابعة عشرة والألوية المرفقة، وكذلك مطار الطبقة حيث أعدمت داعش ضباط وجنود النظام بطريقة بربرية ممجوجة، وهم ليسوا ضحايا داعش فقط، بل هم ضحايا النظام الفاشي الذي تخلى عنهم بعد أن سحب الضباط الكبار الموالين له، وبقناعة العديد من المراقبين فإن هذه التصفيات ليست إلا لإرهاب الشعب في سورية، مع أن هذه الإعدامات لا توازي شيئاً أمام إعدامات واعتقالات والتدمير الذي مارسه ويمارسه النظام الأسدي على سورية.

الأسبوع الماضي استيقظ النظام وتذكر بأن في الرقة داعش، ولكن عوضاً عن قتال داعش التي يعرف أماكن تواجدها، لأن هناك شكوكاً بأن العديد من قادتها هم ضباط بعثيون عراقيون وسوريون، لذا يتبرقعون بالسواد ولا يكشفون عن وجوههم أبداً، فإذا بطيران النظام يضرب المدنيين ليسقط في يوم واحد أكثر من ٢٤٠ شهيداً، مدمراً أحياءً بكاملها في الرقة.

الرقة، مدينة الرشيد ومصيفه، تلك المدينة التي عرفت العديد من الكتاب والأدباء، وكان أبرزهم الدكتور عبد السلام العجيلي ذاك الأديب الكبير الذي لم يترك الرقة حتى موته، ولقد عرفت شخصياً العديد من هؤلاء الأدباء، لماذا ذبحت هذه المدينة مرتين، مرة على أيدي النظام قبل الثورة وخلال الثورة وبعد الثورة، ومرة أخرى على يد داعش الغريبة على أهل الرقة وعلى كل أهل سورية؟ سؤال يرادفه سؤال آخر لماذا الرقة وليست باقي المدن رزحت تحت نير ظلم النظام وداعش معاً؟ هل هو بسبب رفض قسم كبير من أهلها التشيع أو تراجع من تشيع من أبنائها عن تشيعه، فعُوقبت المدينة وأهلها على أيدي أتباع النظام الإيراني المحتل لسورية؟ أسئلة وغيرها سيجيب عنها التاريخ يوم تقوم الدولة المدنية الديموقراطية السورية، بكتابة تاريخ أعظم ثورة في المنطقة ثورة الشعب السوري ضد الاستبداد.

من ذاكرة السجن:

تحية للرفيق الشهيد نعمان عبدو

أنور بدر

بعد أن تخرجت من كلية العلوم في جامعة دمشق عام ١٩٧٩، قصدت إلى لبنان للتسجيل في كلية الدراسات الاجتماعية بالجامعة اللبنانية، لكن مشوار الدراسة هذا لم يتحقق، ولم أستطع إكمال سفري إلى لبنان، حيث كانت تنتظرني مذكرة توقيف على الحدود السورية اللبنانية، دون أن تتضمن أية تفسيرات أو إيضاحات حول أسباب التوقيف.

المهم أنني بِتُّ ليلتي هذه في النظارة، ونقلت في اليوم التالي إلى فرع الأمن السياسي في دمشق، حيث استقبلني العقيد أمين العلي وبدأت تهدأ أعصابي قليلاً حين عرفت أن المسألة تتعلق بمذكرتي توقيف صدرتا بشكل منفصل قبل سنتين، واحدة من الأمن السياسي، والأخرى من الأمن العسكري، ويبدو أن هذا الأخير كان أنشط بالمتابعة فتولى القضية والتحقيق، وأحلت إلى محكمة أمن الدولة العليا بدمشق، لكن المفارقة أن الأمن السياسي لم يعلم بذلك، وبالتالي ما زالت مذكرة التوقيف التي أصدرها قبل عامين سارية المفعول.

ورغم هذا الوضوح في المسألة، إلا أن الإجراءات الأمنية لم تكن بهذه السهولة، بحيث يجب إعادة التحقيق مجدداً والاطلاع على مسار الاجراءات في محكمة أمن الدولة مما يستغرق أياماً بل وأسابيع، أودعت خلالها في سجن الشيخ حسن المعروف بـ«كركون الشيخ حسن» وكانت إقامتي في زنزانة بالقبو الثاني من هذا السجن الذي لا يضاهيه أي سجن في العالم بقذارته وسوء المعاملة فيه.

تتألف الزنزانة من مسطبة بعرض نصف متر أو أقل قليلاً، وبارتفاع مشابه عن مستوى الأرض، وعليها بطانية للنوم تحوي كل ألوان وطعوم وروائح القذارة المعروفة. وهناك مساحة موازية لتلك المسطبة، أي بعرض لا يتجاوز النصف متر، يوجد في نهايتها فتحة يمكن اعتبارها مرحاضاً، وفوق الفتحة بقليل وضع صنبور مياه للنظافة والشرب، إن تمكنت من الشرب منه.

فإذا علمنا أن هذا السجن المبني أصلاً تحت الأرض يقع بالقرب من منطقة باب مصلى، في زاوية من مقبرة الشيخ حسن أو «تربة» لدفن الموتى، فإن القارئ يستطيع أن يتخيل حجم الجرذان والقوارض التي يمكن أن تزوره في كل الأوقات ليلاً ونهاراً.

وما أن استقر بي المقام في هذه الزنزانة حتى أتاني صوتٌ فتي: يا جديد يا جديد؟ ولم أردْ بالطبع عملاً بتعليمات السجان، لكن الصوت تكرر مع إضافة: هل تريد دخان؟ هل تريد شاي؟ مما حفزني للنظر من فتحة صغيرة في باب الزنزانة الحديدي تدعى «شراقة»، فرأيت فتىً صغير الجسم يتحرك بنشاط وحذر بين الزنازين، علمت لاحقاً أن السجانة استأمنوه لصغر سنه، فسمحوا له بالبقاء خارج الزنزانة كي يستطيع السجان أن يقضي وقته في غرفة الحرس الموجودة في الطابق الأرضي من السجن، ويتكفل هذا الفتى بنقل طلبات الموقوفين إلى السجانة عند الضرورة.

صباح هذا اليوم بتاريخ ٧/ ١٢/ ٢٠١٤ وبعد ما يقرب من ٣٥ سنة على تلك الذكرى أتاني خبر استشهاد ذلك الفتى الرفيق نعمان عبدو في مخيم اليرموك.

نعمان عبدو من مدينة سلمية، تعرفت إليه في زنازين السجن، ولم يبلغ الثامنة عشر من عمره، وكان فتى يانعاً مقبلاً على الحياة، وقد خرج مناضلاً صلباً من السجن، والتقيت به بعد ذلك بسنوات، وقد خسر رجله اليسرى، وهو يقاتل مع الفلسطينيين في لبنان، خسر رجله برصاصة من الجيش السوري الذي هاجم معسكر للشباب في شتاء عام ١٩٨٣ لكنه ظلّ واقفاً، ولم يمنعه ذلك من المشاركة في العمل السياسي، وفي الثورة السورية لحظة اندلاعها، وحين ضاقت به مدينة سلمية جاء إلى مخيم اليرموك الذي هجره كثير من سكانه السوريين والفلسطينيين، وظلّ واقفاً ومشاركاً في صنع مستقبل أفضل لسوريا حتى وفاته صباح هذا اليوم الشتائي الحزين.

هناك أشخاص نذروا حياتهم للحرية ولعشق الحياة، لذلك نراهم يواجهون الموت بتفاؤل يشكل سرّ قوتهم ومنبع العزيمة الذي ينهلون منه، وقد عرفت السجن لمرات طويلة آخرها ١٢ عاماً في فرع فلسطين وسجن صيدنايا العسكري بدمشق، لكنني لن أنسى ما حييت ذلك الفتى الذي أخرجني من عزلة ووحشة زنزانات كركون الشيخ حسن، وهو يقدم لي كوب الشاي الدافئ، ويشكل جسراً بيني وبين باقي رفاقي الموزعين في تلك الزنازين الرهيبة.

نعمان عبدو لم يستطع السجن، ولم تستطع الإعاقة أن تنال من عزيمته، ومن عشقه للحياة وللحرية، فظل يقاتل واقفاً حتى مماته في مخيم اليرموك، ذلك الموت الذي يذكرنا الآن بمسرحية أليخاندرو كاسونا الشهيرة «الأشجار تموت واقفة»، إذ أن صديقي الذي تفتحت يفاعته في السجن، استمر وفياً لمبادئه وقيم الثورة والحرية، واستمر في مواقفه ضدّ نظام الفساد والطغيان، ورحل واقفاً وعاشقاً للحرية التي ضمنت أخيراً جسده المنهك حتى النهاية.

واشنطن تحاول شيطنة الإسلام المعتدل..؟!

الطاهر إبراهيم

مع بداية العشر الأخير من القرن العشرين وبعد هدم جدار برلين وتفكك الاتحاد السوفياتي، شهد العالم قوة وحيدة تتحكم فيه هي أمريكا، التي فرضت نفسها شرطياً للعالم وقاضياً يحكم بتجريم أقوام وتبرئة آخرين. لعل أبرز المظاهر التي ظهرت فيها واشنطن أنها اتخذت قوائم للإرهاب تضع عليها من لا يوافقها من الدول والجماعات والأشخاص.

كان من أذرعها التي تطال الذين وضعت أسماؤهم على اللائحة السوداء: الإنتربول والمحكمة الجنائية الدولية ومعظم البنوك التي لها صفة دولية. وأحياناً ترسل جيشها لجلب المطلوبين لها إلى الساحة التي تجعلها مكاناً لتطبيق عدالتها عليه، أو تجمد ملاحقة مطلوبين للوقت الذي قد تراه مناسباً لفرض شروطها عليهم. يكفي أن نرى ما فعلته في العراق عندما غزته عام ٢٠٠٣ وحطمت دولته وسلمته أنقاضاً إلى حكومة المالكي ففرض الطائفية التي دمرت ما كان يعرف بدولة اسمها العراق، وكل ذلك فعلته واشنطن بعيداً عن مجلس الأمن.

كان مما فعلته واشنطن بعيداً عن العدالة الدولية، أنها كانت ترسل طائرات دون طيار تقصف في جبال أفغانستان، بعد أن عجزت جيوشها عن تنفيذ ما تريده. كما أنها كانت ترسل طائراتها لتقصف طالبان باكستان في شمال باكستان، وتقصف قبائل في جنوب اليمن بحجة أنها أماكن وجود القاعدة، وقد قتلت أضعاف ما تقتل من عناصر القاعدة. كان آخر هجوم في ٢٤ تشرين أول الجاري في «رداع» اليمنية لمؤازرة الحوثيين ضد رجال القبائل. وقد جيشت الآن تحالفاً من أكثر من ٤٠ دولة لنصرة حفنة من الأكراد في عين العرب، ومنعت وصول سلاح مضاد للطائرات التي تقصف السوريين بالبراميل.

لعل الأشد فظاعة من ذلك كله اعتقال واشنطن لأكثر من ٥٠٠ من العرب والمسلمين وإيداعهم سجن غوانتنامو الرهيب من دون محاكمة. وقبل وصول باراك أوباما إلى السلطة، كان أكد في دعايته الانتخابية تقديم هؤلاء إلى المحاكمة، ومن ثم إغلاق غوانتنامو، لكنه رجع عن ذلك. لا يهمنا سبب رجوعه، إنما المهم أنه لا يمكن الاطمئنان إلى ما تفكر به واشنطن.

هذه السياسة التي أصبحت خلقاً لأمريكا ولّد عند الشعوب الإسلامية والعربية «كماً» هائلاً من عدم الثقة مما يمكن أن تفعله بهم أمريكا. ومما جعل المسلمين يتوجسون من مستقبلهم الغامض مع واشنطن أنها احتكرت الحقيقة. والحقيقة المخوفة هنا هي تفسير واشنطن للأمور، وليس ما يحصل على أرض الواقع.

كان الإخوان المسلمون في سورية أعلنوا قبل أكثر من سنتين في وثيقة سموها «عهد وميثاق»: التزامَهم بالديمقراطية والتعددية السياسية، وما تفرزه صناديق الاقتراع ومبدأ تداول السلطة في سورية المستقبل. وقد هلل السياسيون السوريون لهذا الإعلان، ثم تبين لهم أن واشنطن لن تقبل بالإخوان المسلمين ولو خلعوا جلودهم، فانكفأ باقي السياسيين السوريين نحو واشنطن.

واشنطن تريد شيطنة الإخوان المسلمين ليس في سورية فحسب، بل هذا ديدنها في الشرق منذ أن ورثت بريطانيا في البلاد العربية وفي الشرق الإسلامي. كان مما سعت له واشنطن أن يقود العلمانيون الثورة السورية وسمتهم المعتدلين. وقد علم السوريون أن هؤلاء المعتدلين من غير الملتزمين بالإسلام لكن الواحد منهم ما إن ينضم إلى قتال النظام حتى يصبح جهادياً خالصاً، فليس هنالك في الثورة السورية معتدل ومتطرف. أما المعتدلون فهم إما ضباط انشقوا عن الجيش النظامي وقد أنفوا أن ينخرطوا تحت قيادة قادة الفصائل المدنيين، وقد تجمع أكثرهم في تركيا. أو أنهم أصحاب طموح أرادوا أن يكون لهم شأن فرضوا بما عرضته واشنطن.

حتى الآن لم تستطع طائرات التحالف أن تنجح في تحجيم تنظيم الدولة داعش. بل نرى أن هذا التنظيم يزداد اتساعاً أفقياً وشاقولياً كلما ازدادت هجمات طيران التحالف. بل إن البعض يعتقد أن هذا التنظيم يمتلك أسلحة أمريكية مضادة غنمها من جيش المالكي، لم يستعملها حتى الآن، يخبئها ليفجر بها مفاجأة تعصف بهيبة واشنطن أمام شعبها وحلفائها.

نعود إلى ما بدأنا به مقالنا فنتساءل: لماذا تريد واشنطن شيطنة الإسلام المعتدل؟ وكان الأحرى بها أن تستعين به لتحتوي القاعدة وداعش وأخواتهما وما يمكن أن يظهر بعد. الجواب واضح لدينا، فهي تخشى الإسلام المعتدل أكثر مما تخشى من القاعدة وداعش. فقد رأت كيف أحسن الإسلاميون المعتدلون النتيجة في الانتخابات التي جرت في كل من مصر وتونس وفي ليبيا بالانتخابات الأولى، لذا فهي تستبق الوضع في سورية فلا تمكن للثوار.

يبقى التساؤل الوجيه الذي يخطر ببال البعض: وهو أن واشنطن لم تحسب حساب توسع الأمر فينقلب السحر على الساحر. فيتوسع داعش الذي كان قبل سنة لا يعد عسكره عدة مئات في العراق ومثلها في سورية، فأصبح الآن يعد بعشرات الألوف. بل قد يمتد ذراعه إلى اليمن الذي يموج بالقبائل السنية الذين قتلوا حتى الآن عدة مئات من الحوثيين الذين تدعمهم واشنطن وإيران، والحبل على الجرار. وما خفي كان أعظم!!

سيغموند فرويد وهيكلية الشخصية السورية

براء الجمعة

مـما لا شـك فيـه أنّ في بلـدان العـالم الثالـث لا تنطبـق عـلى ذواتنـا الشـخصية أي نظريـة مـن نظريـات بنـاء الشـخصية الانطبـاق التـام, بسـبب الإعاقـة النفسـية والفكريـة، التـي تعرضـت لهـا هـذه المجتمعـات نتيجـة فكـر اسـتبدادي شـخصي, أو فكـر جمعـي خاطـئ لإحـدى المفاهيـم الدينيـة أو العـادات والعـرف، ناهيـك عـن الأوضـاع الاقتصاديـة المزريـة، التـي تؤثـر عـلى الشـخصية الإنسـانية بشـكل كبـير (سـلباً غالبـاً، إيجابـاً)، ولكـن سـنحاول نمذجـة إحـدى هـذه النظريـات عـلى الشـخصية السـورية، ومـن النظريـات المشـهورة في بنـاء الشـخصية الإنسـانية، نظريـة الفيلسـوف النمسـاوي سـيغموند فرويـد، وهـذه النظريـة تتلخـص بمـا يـلي يقـول: يولـد الطفـل مـزوداً بمجموعـة دوافـع هائلـة، تسـعى لتحقيـق هدفـين:

١- المحافظة على ذاته من أخطار العالم الخارجي.

٢- إشباع الرغبات وتحقيق الذات.

ووصـف فرويـد النفـس الإنسـانية بالمنطقـة أو الفـراغ، الـذي تمـوج فيـه الرغبـات التـي يسـعى لتحقيقهـا الكائـن الحـي وسـمّى هـذه المنطقـة بـ: (الهـو)، ولهـذا الفـراغ رابطـين أو ضابطـين برتـب مختلفـة، أطلـق عليهـا حسـب ترتيـب الرتـب بـ(الأنـا) و(الأنـا الأعـلى)، ومـا أطلـق عليـه فرويـد (الأنـا) مـا نسـميه نحـن: (الضمـير)، و(الأنـا الأعـلى) هـو الضمـير الجمعـي للجماعـة، أي العـادة أو العـرف أو الشريعـة التـي تعتقـد بهـا هـذه الجماعـة التـي ينتمـي إليهـا الفـرد.

ولـو مرّرنـا ثـلاث عينـات مـن المجتمـع السـوري، تحـت عدسـة فرويـد، لتبـين لنـا، وطبعـاً هـذه العينـات التـي سـنختارها أغلبهـا شـاذ لأن الشـاذ هـو الـذي يلفـت النظـر وليـس السـوي.

العينـة الأولى: شـخصية ذات نشـأة مشـبوهة أيـام النظـام، وحـاضر أسـود أيـام الثـورة، عـلى فـرض أن هـذا الشـخص كان لصـاً أيـام النظـام فاعتمـد عـلى السرقـة لإشـباع اللـذات والرغبـات، أو حاجاتـه الأساسـية كالطعـام، وهـو كفيـل نفسـه مـن أخطـار العـالم الخارجـي طالمـا البلـد في هدنـة دائمـة، فهـو لـن يضطـر عـلى أيـة حـال لقتـل أي شـاهد عيـان عـلى جريمتـه، إلا إذا اعتـدى عليـه هـذا الشـاهد، ولكـن بعـد سـقوط النظـام في المناطـق المحـررة، طـوّر نفسـه وتحـول إلى قاطـع طريـق أي لـص وقاتـل في نفـس الوقـت. فـ(الهـو) عنـده منطقـة دائمـة التوسـع، أمـا الأنـا (الضمـير) تحكمـه رغبـة إشـباع جوعـه وغريزتـه، والأنـا الأعـلى كان النظـام سـابقاً، وليـس الديـن أو العـرف، لأنـه تحـول إلى قاتـل بعـد سـقوط (الأنـا الأعـلى) عنـده أي النظـام، فهـو يخـشى عقـاب النظـام، وليـس عقـاب الديـن أو العـرف والعـادة.

العينـة الثانيـة: شـخصية سـوية أيـام النظـام، منحـرف أيـام الثـورة، بلسـان الشـارع (كان كافي النـاس خـيره وشره)، ولكـن الثـورة تجـلي الغشـاوة عـن الأبصـار، بسـقوط النظـام انحـرف وتحـول إلى لـص تحـت اسـم العمـل الثـوري والغطـاء الدينـي غالبـاً (إن هـذه الأمـوال ملـك النظـام البائـد وحاشـيته وحـلال اسـتغلالها وسرقتهـا)، وهـذه العينـة أخطـر مـن سـابقتها، لأن الفـرد فيهـا يعمـل عـادة ضمـن مجموعـات تدعـي الإسـلام مـما يغـري عاطفيـاً الكثـير مـن المراهقـين للانخـراط بهـا، بسـبب العـوز الفكـري والعاطفـة التـي يجـب أن تُفـرغ في مجـال مـا، كـما تُغـري مـن يفكـر بعقـل غـيره.

الرغبـة: زيـادة الـثروة بوتـيرة متسـارعة (غنـى سريـع)، (الهـو) منطقـة كانـت محبوسـة وانفجـرت فلـن تنضبـط بالأمـر السـهل، (الأنـا) إرضـاء الضمـير الفـردي بفتـوى غـير مقتنـع بهـا تمامـاً، ولكـن يتدخـل العقـل الطمـوح للتأثـير سـلباً عـلى الضمـير وإسـكاته، لتحقيـق الـثروة السريعـة، (الأنـا الأعـلى) هـو أنـا مسـتعار فقهـي تسـوقه المـادة كـما (الأنـا).

العينـة الثالثـة: شـخصية سـوية في المرحلتـين (النظـام والثـورة) عـلى المنظـور القريـب، ولكنهـا سـلبية في المنظـور البعيـد، وهـذه الشـخصية يسـوقها الهـوى، شراعهـا كبـير، فهـي تعمـل رهينـة لمجموعـات تحمـل الفكـر الجهـادي التكفـيري دون أدنى تفكـير أو تسـاهل، مـن هـو القائـد؟ ومـا الدافـع وراء التفجـير أو العمـل الـذي نقـوم بـه طالمـا أن هـؤلاء الأفـراد بايعـوا قائدهـم عـلى الحيـاة والمـوت دون تسـاؤل، والطامـة الكـبرى أن يكـون القائـد بيـدق بيـد مافيـا عالميـة لهـا مـآرب شـخصية عـلى الأرض السـورية، أو يكـون هـو ذاتـه مافيـا مرتبطـة بالنظـام.

الرغبـة هنـا للفـرد هـي رغبـة دفينـة يريـد تحقيقهـا في العـالم الآخـر (الجنـة) حيـث الحـور العـين وأنهـار اللـبن والخمـر، أمـا (الهـو) منطقـة محبوسـة ومكبوتـة دنيويـاً بتأثـير الفكـر الإسـلامي تأمـل بالتحقـق في العـالم الثـاني، (الأنـا) الضمـير الإسـلامي للفـرد ذاتـه، (الأنـا الأعـلى) الفكـر الإسـلامي كـما يفهمـه قائـد هـذه الجماعـة فقـط.

ومـما سـلف نلاحـظ: أن الطغيـان الـذي يسـببه الفـرد ضمـن الجماعـة أو المجتمـع هـو أشـد خطـر مـن طغيـان المجتمـع أو الجماعـة ككل، ولـو كان العكـس صحيـح لكـن المجتمـع أكـثر اتزانـاً.

سـوريا المسـتقبل والمسـألة الكرديـة

(وجهة نظر تيار المواطنة في سوريا)

خليل حسين

الثـورة السـورية «ثـورة سياسـية» وذات «طابـع تاريخـي»، إن لم نقـل «ثـورة تاريخيـة» مخافـة المبالغـة في التوقعـات والإغـراق في التفـاؤل. وهـي تواجـه تحديـات كبـيرة بقـدر مـا تحمـل مـن آمـال عريضـة. فالمأمـول منهـا لا يقـف عنـد حـد تغيـير «النظـام السـياسي»، وإنمـا إعـادة بنـاء «دولـة» سـورية وولادة «شـعب» سـوري بـ«هويـة وطنيـة» سـورية. فمشـكلة سـورية لم تكـن تقتـصر عـلى بـدء تـآكل «عقدهـا الاجتماعـي» منـذ أواخـر خمسـينيات القـرن المـاضي وصـولاً إلى تلاشـيه خـلال الأربعـين سـنة الماضيـة وحسـب، وإنمـا في عيـوب وقصـور اعـترت «عقدهـا الاجتماعـي التأسـيسي» الأول. فعـلى الرغـم مـن أن الفصـل الأول مـن دسـتور ١٩٥٠ جـاء تحـت عنـوان «في الجمهوريـة السـورية» نصـت المـادة الأولى منـه عـلى أن: «سـورية جمهوريـة عربيـة ديمقراطيـة نيابيـة ذات سـيادة تامـة. وهـي وحـدة سياسـية لا تتجـزأ ولا يجـوز التخـلي عـن جـزء مـن أراضيهـا. والشـعب السـوري جـزء مـن الأمـة العربيـة». وفي حـين قضـت المـادة السـابعة بـأن: «المواطنـون متسـاوون أمـام القانـون في الواجبـات والحقـوق وفي الكرامـة والمنزلـة الاجتماعيـة.» لم تكمـل لتقـول: «بغـض النظـر عـن الديـن أو العـرق أو الجنـس ...»، تماشـياً مـع المـادة الثانيـة مـن إعـلان حقـوق الإنسـان: «لـكل إنسـان حـق التمتـع بجميـع الحقـوق والحريـات المذكـورة في هـذا الإعـلان، دونمـا تمييـز مـن أي نـوع، ولا سـيما التمييـز بسـبب العنـصر، أو اللـون، أو الجنـس، أو اللغـة، أو الديـن، أو الـرأي سياسـياً وغـير سـياسي، أو الأصل الوطنـي أو الاجتماعـي، أو الـثروة، أو المولـد، أو أي وضـع آخـر.» وإذا كان هـذا هـو الحـال عـلى المسـتوى النظـري، دسـتورياً ومـا ينتـج عنـه مـن تشريعـات ومؤسسـات، فـإن حـال مسـتوى الواقـع العملـي المـمارس للسـوريين هـو الأخطـر. فلقـد عاشـت الغالبيـة الكاسـحة مـن السـوريين ازدواجيـة عميقـة ومزمنـة، بـين مـا يحملونـه ويرفعونـه مـن أيديولوجيـا وشـعارات وأهـداف «قوميـة عروبيـة» عابـرة بترفـع عـن «الوطنيـة السـورية»، وبـين مـا يعيشـونه حقيقـة في حياتهـم اليوميـة مـن انتـماءات وعلاقـات ومؤسسـات طائفيـة ومذهبيـة «مـا تحـت وطنيـة» دون أن يرتقـوا إلى «هويـة وطنيـة» سـورية. وأدى هـذا التناقـض، فيـما أدى إليـه، إلى ضعـف «بنـاء دولـة وطنيـة سـورية» مقابـل تـورم «قطـر سـوري» يسـعى إلى دولـة عربيـة منشـودة، وهشاشـة «وجـود شـعب سـوري» مقابـل «شـعب عـربي في سـورية» يقـصي ويهمـش السـوريين مـن غـير العـرب، والكـرد منهـم عـلى وجـه الخصـوص.

مـما تقـدم تتضـح إحـدى أكـبر التحديـات أمـام سـوريا المسـتقبل، ألا وهـي بنـاء «دولـة وطنيـة» سـورية قائمـة عـلى «عقـد اجتماعـي» جديـد يفتـح صـيرورة لاندمـاج اجتماعـي يفتـح صـيرورة لخلـق «شـعب سـوري» يحمـل هويـة «وطنيـة سـورية». يبـدأ هـذا العقـد الاجتماعـي بالحقـوق المتسـاوية للمواطنـين بغـض النظـر عـن العـرق والديـن والجنـس، ولا ينتهـي عندهـا. فالحقـوق يجـب أن تشـمل الحقـوق الثقافيـة واللغويـة لجميـع السـوريين مـن مختلـف الأعـراق والقوميـات بـلا تـردد أو اسـتثناء. يضـاف إلى ذلـك الحقـوق الخاصـة بالكـرد. وإذ نميـز الكـرد عـن غيرهـم مـن الأصـول القوميـة الأخـرى، غـير العربيـة، فذلـك بسـبب الوضـع الديموغـرافي والتاريخـي الخـاص بهـم والمختلـف عـن بقيـة الأقـوام الأخـرى. فليـس لـكل مـن السريـان والآشـوريين والأرمـن والشركـس والتركمـان مطالـب وطموحـات تتعـدى حقـوق المواطنـة المتسـاوية والحقـوق الثقافيـة واللغويـة والسياسـية المتناسـبة مـع وجودهـم التاريخـي والراهـن عـلى الأرض السـورية وطموحاتهـم الذاتيـة، لأسـباب تاريخيـة وجغرافيـة وسـكانية غنيـة عـن التعريـف. مـن هنـا تتوقـف صحـة «العقـد الاجتماعـي» السـورية عـلى معالجـة «خصوصيـة» المسـألة الكرديـة في سـورية. والمدخـل الصحيـح لحـل المسـألة الكرديـة في سـورية ينطلـق مـن أمريـن اثنـين، يتجـلى أولهـما بـأن يعيـد السـوريون مـن أصـل عـربي النظـر بالمسـألة الكرديـة مـن اعتبارهـا «مشـكلة أكـراد في سـورية» إلى اعتبارهـا مسـألة «وطنيـة سـورية» بامتيـاز، ويتوقـف عـلى معالجتهـا بشـكل صحيـح رسـم مسـتقبل سـورية المأمـول. والأمـر الآخـر يتعلـق بمـدى إمكانيـة أن ينظـر الكـرد السـوريون بوصفهـم جـزءاً مـن الشـعب الكـردي إلى قضيتهـم، في المـدى المنظـور والمسـتقبل الراهـن عـلى الأقـل، بأنهـا «قضيـة سـورية» يحملهـا سـوريون مـن أصـل كـردي للوصـول إلى أفضـل تصـور لمسـتقبل سـورية.

ولأن معالجـة «القضيـة الكرديـة» معالجـة تاريخيـة تتعلـق بالأمـة الكرديـة وثقلهـا الرئيـس خـارج سـورية مـن جهـة أولى، ومعالجتهـا مـن منظـور مبـدأ «حـق الشـعوب في تقريـر مصيرهـا» مـن جهـة أخـرى، تمـت في فقـرات سـابقة فسـنحصر نقاشـنا في هـذه الفقـرة عـلى معالجتهـا مـن خـلال الاحتـمالات المتاحـة والممكنـة في الواقـع العيـاني الملمـوس في الظـروف السـورية الراهنـة بملابسـاتها وتعقيداتهـا. مـن الطبيعـي، والمـبرر، والمفهـوم أن تعلـو الأصـوات الكرديـة، وتصبـح واضحـة وعلنيـة وجذريـة بعـد الثـورة في سـورية، بعـد أن كانـت الآراء والطروحـات نفسـها تُقـال في السـابق بخفـوت، وفي الغـرف المغلقـة، وعـبر بعـض الأدبيـات الحزبيـة الجذريـة. ومـن الطبيعـي أيضـاً أن يتـم الحديـث عـن «ربيـع كـردي بعـد الربيـع العـربي»، وأن يتـم التذكـير بـأن «ربيعـاً كرديـاً» سـبق الربيـع العـربي في القامشـلي عـام ٢٠٠٤. وكـما يقـال، بحـق، بأنـه لا يمكـن تجـاوز «عطـش الكـرد إلى حكـم أنفسـهم ذاتيـاً»، وبـأن «الحـل الوحيـد يتمثـل بالفدراليـة». فهـل الفيدراليـة ممكنـة عمليـاً في الواقـع السـوري المشـخص عيانيـاً؟

ينتـشر الشـعب الكـردي في سـورية عـلى مسـاحات شاسـعة مـن الأرض، وتتموضـع التجمعـات السـكانية ذات الأغلبيـة الكرديـة بشـكل متباعـد جغرافيـاً، وتتداخـل هـذه التجمعـات متشـابكة مـع تجمعـات سـكانية عربيـة وسريانيـة وآشـورية وأرمينيـة وتركمانيـة وشركسـية. فكيـف سـتقام منطقـة حكـم ذاتي كرديـة ترتبـط بسـورية بنظـام حكـم فيـدرالي، في ظـل غيـاب اسـتمرارية سـكانية، غـير متقطعـة وغـير متداخلـة، عـلى أراضٍ غـير متواصلـة جغرافيـاً؟ فهـل يمكـن ذلـك عـن طريـق تبـادل أراضٍ ونقـل سـكان؟ أم أن هنـاك حـلاً لا يمكـن وصفـه بالفيـدرالي ولكنـه يحقـق معظـم أهـداف وغايـات الفيدراليـة؟ ومـا هـو هـذا الحـل.

قبـل الثـورة، وبعيـداً عـن المسـألة الكرديـة، كانـت تُطـرح «رؤىً» لسـورية مـا بعـد النظـام الشـمولي، يحملهـا سـوريون مـن منظـور «تنمـوي» حقيقـي وفعـال. فمـن أجـل «تنميـة حقيقيـة شـاملة ومسـتدامة»، اقتصاديـاً واجتماعيـاً وسياسـياً وثقافيـاً، لا بـد مـن نظـام سـياسي مختلـف. فبالإضافـة إلى ضرورة ربـط التنميـة بالديمقراطيـة وحقـوق الإنسـان والتوزيـع العـادل للـثروة، يجـب إقامـة «دولـة» «مركزيـة سياسـياً» و«لا مركزيـة إداريـاً». وكي لا تبقـى المسـائل في العموميـات وبشـكل ضبـابي، كان يُقـال بوضـوح أن «اللامركزيـة الإداريـة» تتطلـب نصوصـاً دسـتورية وتشريعـات قانونيـة تقتـضي، فيـما تقتضيـه، أن يتـم انتخـاب المحافظـين ضمـن محافظتهـم مـن قبـل أبنـاء المحافظـة. وكذلـك مـدراء المناطـق والنواحـي والمخاتـير. وأن تتمتـع السـلطات المحليـة بصلاحيـات حقيقيـة وواسـعة، وأن تكـون مسـؤولة أمـام ناخبيهـا عـبر صناديـق الاقـتراع في كل دورة انتخابيـة، وحتـى أمـام القضـاء عندمـا يتطلـب الأمـر ذلـك. وأن تكـون حصـص الميزانيـات المحليـة مـن الميزانيـة المركزيـة متناسـبة مـع الحاجـات والأعبـاء التنمويـة، وذلـك لصالـح المناطـق الأقـل نمـواً. ويمكـن التفكـير بأفـكار أخـرى ضمـن نقـاش وطنـي عـام في المرحلـة الانتقاليـة. ومـن هـذه الأفـكار عـلى سـبيل المثـال لا الحـصر إمكانيـة إعـادة التقسـيمات الإداريـة في سـورية، كأن تقسـم سـورية إلى أقاليـم، يضـم كل إقليـم مجموعـة مـن المحافظـات، وتكـون إدارة الإقليـم منتخبـة مـن قبـل أبنـاء الإقليـم. كـما يمكـن التفكـير بتعديـلات عـلى حـدود المحافظـات إذا اقتـضى ذلـك ضرورات العمليـة التنمويـة، اقتصاديـاً وبشريـاً وثقافيـاً. ويجـب أن يبقـى النقـاش حـول هـذه الأفـكار وغيرهـا عامـاً ومفتوحـاً.

وفي النهايـة، ولأسـباب كثـيرة لا مجـال هنـا لمناقشـتها وتحليلهـا، يجـب التأكيـد، بوضـوح وصـدق وحـزم، عـلى أن «المركزيـة السياسـية» هـي «ضرورة وجوديـة» لأي «دولـة» سـورية، والتفريـط بهـا هـو تفريـط بوجـود «دولـة سـورية» أصـلاً. لكـن المركزيـة الإداريـة ليسـت كذلـك.

نقطة أول السطر

الخطان المتوازيان يلتقيان

الشاوي الضليل

للوهلـة الأولى تبـدو أن خطـة دي ميسـتورا، أمريكيـة بامتيـاز، أو بمعنـى آخـر، أحـد الأسـس التـي ترتكـز عليهـا الخطـة الأمريكيـة المرسـومة للمنطقـة، لكـن مـن خـلال حركـة دي ميسـتورا، وتكتيكاتـه في التسـويق، تتضـح بعـض ملامحهـا المعقـدة، التـي تؤكـد في أكـثر مـن عمـل، أنهـا بُنيـت عـلى مسـارين (خطـين) متوازيـين، يديـر الأمريـكان و(أصدقـاء الشـعب السـوري) مسـاراً، والآخـر تحـت إشراف وإدارة روسـيا (بوتـين)، وهـي مزيـج بـين جنيـف1 وبـين موسـكو1 المرتقـب.

أعتقـد أن مؤتمـر موسـكو1 الـذي أُعـد ويُعـد لـه روسـياً، سـيكون أكـثر خطـورة في المسـألة السـورية، وسـتكون نتائجـه السياسـية مدمـرة لأهـداف الثـورة السـورية، لأن المُسـرب مـن لقـاءات الـروس بـ(معارضـين سـوريين)، يتمحـور حـول ثمـن إيقـاف تدمـير مـا تبقـى مـن سـورية مـن البـشر والحجـر والمـوارد، الموافقـة عـلى بقـاء (النظـام كنظـام) عـبر جيـش تُدمـج فيـه التشـكيلات الإسـلامية (المعتدلـة)، والإبقـاء عـلى الأجهـزة الأمنيـة، بعـد تشـذيبها مـن بعـض العنـاصر القياديـة المتهمـة بارتـكاب انتهـاكات جنائيـة خطـيرة بحـق الشـعب السـوري، وحكومـة مختلطـة مـن مـولاة و(معارضـة)، فاقـدة لقرارهـا السـيادي، لأن سـورية المسـتقبل سـتكون دولـة فاشـلة تُـدار بالشراكـة مـن خـلال تفاهـمات اللاعبـين الكبـار.

أعتقـد أن المسـار الـذي يؤسـس دي ميسـتورا لـه، عـبر الاتفاقـات الجزئيـة التـي أسـس لهـا في (عينتـاب)، وبمباركـة باطنيـة مـن بعـض الأطـراف المعارضـة، وبشـكل أخـص تلـك التـي لهـا كتائـب مسـلحة في حلـب، سـتؤسس لدمـج هـذه الكتائـب في الجيـش والشرطـة والأمـن، كي تنـدرج لاحقـاً في الخطـة الدوليـة لمحاربـة الإرهـاب، وحمايـة المعابـر والمسـاعدة عـلى ضبـط الحـدود الدوليـة، ومـن ثـم المسـاعدة في إعـادة السـيطرة عـلى المجتمـع، التـي فُقـدت خـلال سـنوات الثـورة، واعـادة إيقـاع الفـوضى إلى مسـارات يمكـن إدارتهـا والسـيطرة عليهـا (الجـزء الهـام مـما يعمـل عليـه الآن سـمعته وبشـكل مبـاشر مـن السـيد روبـرت فـورد منـذ تمـوز 2013، وهـو الإبقـاء عـلى تشـكيلات الجيـش والأجهـزة الأمنيـة لـكي يؤسـس عليهـا بعـد بشـار الأسـد كضمانـة لـكل الأطـراف السـورية، لأن تشـكيل جيـش جديـد، وأجهـزة أمنيـة سـيكون مكلفـاً وغـير مضمـون النتائـج).

كانـت محادثـات دي ميسـتورا في عينتـاب مـع طعمـة، وقـادة التشـكيلات والكتائـب العسـكرية، ذات طابـع تقنـي، تمهيـداً للقبـول بنتائـج سياسـية سـتُفرز مـن خـلال مؤتمـر موسـكو١، التـي يعمـل الـروس بالتحضـير لـه عـلى طريقـة آبـاء الكرملـين (السـوفيتي)، حيـث أنهـم اسـتغلوا كل مـا يمكـن اسـتغلاله في إقنـاع مـن يقـاوم ذلـك، بـدءاً مـن معارضـات منتهيـة الصلاحيـة مـروراً بتجـار دمشـق وحلـب وانتهـاءً بتعبـيرات علمانيـة وقوميـة وإسـلامية تسـبح عـلى شـواطئ الإخـوان المسـلمين.

إن خارطـة الطريـق لحـل المسـألة السـورية، بـدأت تتوضـح ملامحهـا عـبر مسـارين متوازيـين، الأول ينطلـق مـن حلـب، وتحـت إشراف أمريـكا، وهـو مسـار تقنـي وإجـرائي شـكلاً، والثـاني ينطلـق مـن موسـكو عـبر اتفاقـات تـشرف عليهـا روسـيا، وفيهـا تلعـب دور الشريـك الضامـن للتنفيـذ، ومـن المرجـح أن يكـون مجلـس الأمـن كمؤسسـة دوليـة مكانـاً لتصديـق كل الاتفاقـات، وعـبر قـرار ملـزم لجميـع الأطـراف وتحـت البنـد السـابع، وبذلـك يلتقـي الخطـان المتوازيـان في دمشـق، لأن السياسـة والمصالـح الدوليـة لا تسـير مـن خـلال تعريفـات اقليـدس الرياضيـة.

سيميائيات الأُلفة

د. خالد حسين

«الأُنس» يعني أن يتفتَّح المكانُ ألفةً بحضور الآخر، في تحدٍّ لإنذارات الوحشة بالانبثاق؛ لأنَّ «الأَنَسَةَ روحٌ للقلوب، وأنَّ الوحشة روعٌ عليها/ الأدب الكبير»، ومن هنا؛ فإنَّ سيمياءَ الأُنس تقوم أساساً على الجذب بين الذات والآخر، فحضور الآخر هو الذي يشقُّ للألفة ثغرة للحدوث، لكي ينموَ الإيناسُ ؛ إذ بحضور الآخر يبدأ الأُنسُ. لكن ماذا لو كان هذا الأُنْس هو أَنَسُ الصَّداقة ؟ وهنا لسيمياء الأُنس أن تجد طرائق لرصد مضاعفةٍ في دلالات الأنس من حيث قوةُ المودةِ وعنفُهَا:«إذ ماتَ لي صديقٌ سَقَطَ عضوٌ مني/ الصَّداقة والصَّديق»، هكذا بموت الصديق يتعرض الأُنس للطَّيِّ؛ لتختفي الأُلفة، وتحضر الوَحْشَةُ على نحو أرعن، فالموت هو انقطاعُ الأُنس وشرخٌ حادٌّ في مدار التواصل، ومن هنا، الفزع الذي يتملّك الكائنَ الإنسانيَّ في تجربة الموت، لأنَّ الكائن لايمكن له أنَّ يخوض تجربة الموت إلا خلال تجربة موت الآخر، الآخر الذي يرتبط بحضوره حدثُ الأنس، فموتُ الصَّديق تهديدٌ لي، علامةٌ تنذرني، تنذر جسدي بالسّقوط في عتمة الموت، ولذلك ليس موتُ الصديق سوى موتي أنا، وإنما برسم التأجيل. هكذا يحدثُ الموتُ انعطافاً حاداً في دوام سيمياء الأُنس حيث القرب وحيث الجوار ومتعة المجالسة يستحيلُ بعداً وأثراً وكمداً؛ لبدأ سيمياء الموت بمُراكمةِ الفجوات والانقطاعات والوحدة، لهذا ينتقل السومريُّ ــ كلكامش من فضاء الأنس إلى فضاء العزلة واليأس بموت أنيسه أنكيدو:

«من أجل أنكيدو، خلّه وصديقه
بكى جلجامش بكاءً مرّاً
وهامَ على وجهِهِ في الصَّحارى(وصار يناجي نفسه):
إذا ما متُّ أفلا يكونُ مصيري مثل مصير أنكيدو.
لقد كلَّ الحزن والأسى بجسمي
خفتُ من الموت، وها أنا أهيمُ في البوادي ملحمة كلكامش

فالموت بكل صلافة يُنهي لذة التَّواصل، ويمضي بالأنس عتمةً أبديةً حيث سلطان الصَّمت وحده الذي يتولَّى إدراة شؤون الظلام.

والأُنس يحيلنا على «الإبصار»، كذلك، بل إنَّ أصلَ الإنْسِ والأَنَسِ والإنْسان من الإيناس وهو الإبصار، ولهذا ارتبط الأُنسُ بالبصر، وحقل الصَّداقة يفور بهذه العلاقة بين الأنس والبصر:«أشتهي ـ يقول صديق لصديقه ـ أن أشتريَ داراً في جوارك حتى ألقاكَ كل وقتٍ، [ردَّ الآخر]: المودة التي يفسدها تراخي اللقاء مدخولة/ الصَّداقة والصَّديق»، هكذا؛ فالصداقة تكون بإدامة الأُنس رؤيةً عبر المساكنة جواراً إلى الصديق، فالجِوار/ القرب سوف يضمن وقاية الأنس من طيّات البعد الذي يؤسِّس للنسيان والتراخي، فالقرب هو الذي يمنحُ الأنسَ، لأنَّ الأنس يكون بالقرب، فأن تكون قريباً مني، يعني أن تكون أنيساً، يعني أن تكون صديقاً، فالأنس هو متعة الجوار والجلوس بالقرب من الصَّديق، ومن هنا، كان مشاقُّ البحث عن الأنس والتآلف عبر السَّفر للوقوع على صديق:«قيل لفيلسوف: من أطول الناس سفراً ؟ قال: من سافر في طلب صديق/ الصَّداقة والصَّديق»، فالسفر هنا ليس إلا البحث عن الصديق للإمساك بالأنس، ففي وجود الصديق تكمن لذة الأنس، فالأنس أن تسكن الصديق ويسكن إليك الصديق الذي «ليس إلا إنسان هو أنت إلا أنه بالشخص غيرك» كما قال أرسطو.

والآن ما شأنُ الحبِّ بالألفة؟ أو ما شأن الألفة بالحبِّ؟ الأُلفةُ هي الاجتماع والالتئام والصَّداقة والمؤانسة، وهي كذلك الحبُّ: أَلِفَ الشيءَ آنسهُ وأَحَبَّهُ، فهو آلِفٌ والجمع أُلّاف. في هذه الانعطافة الدَّلالية يقتنصُ ابن حزم الأندلسيُّ عنواناً أثيراً لمصنفه في الحب:«طوق الحمامة في الألفة والألاف»، ولا يخفى علينا إدراج الحمام في العنوان، فالحمام لايحيا إلا بالأُنس والألفة فهو لاينفكُّ عن تأسيس العشق في فضاءاته، بل هو كائن الألفة بامتياز؛ فالحبُّ بمراتبه سليلُ الأُلفةِ وعلامةُ الأُنْسِ حيث تغور المسافةُ والوَحْشَةُ في المكان، ولايبقى سوى بهاء الأنس وسلطانه؛ إذ الحبُّ ضيافةٌ دون اشتراطاتٍ بين المُحِبِّ والمحبوب، وذروة التَّخارج عن الذات باتجاه الآخر: « ماالعشق ؟ فقال: تشوُّقٌ إلى كمالٍ ما بحركةٍ دالّةٍ على صبوةٍ ذي شكلٍ إلى شكلِهِ/ المقابسات»، فالشذرة ، هنا تعكسُ صورةَ الذَّات الخارجة عن عزلتها نحو الآخر، يدفعها التشوّق لكمال الأُنس، والكلفُ كلٌّ بمحبوبه، فالحبُّ أُنسٌ مخلوطٌ بجحيم التشوق وسعير الصبوة، وتأجج الحركة لاختراق فضاء الآخر.

مع أُنس الحُبِّ تغدو الذاتُ والآخرُ بمنزلة ذاتٍ واحدةٍ، ولكن تحت تسميةٍ جديدةٍ « الذات عينها كآخر»، حيث تكفُّ «الذات» عن أن تكونَ ذاتها، والآخر أن يكون آخرَ، بنسف التطابق والتماثل، إذ تحلُّ التناصية أو التذاوتية بين كائني الأنس:«وللحب علامات يقفوها الفطن،/ ويهتدي إليها الذكيُّ، فأولّها إدمان النظر، والعين باب النفس الشارع، وهي المنقبة عن سرائرها، والمعبّرة لضمائرها، والمعربة عن بواطنها، فترى الناظر لايطرف، ينتقل بتنقّل المحبوب، وينزوي بانزوائه، ويميل حيث ما/ طوق الحمامة»، فالأنس حبّاً: تفاعلٌ بالنَّظر والانتقال والميلان والإنزواء، وبتعبيرٍ آخر: الأنس حباً شيء من الكلف بالآخر، محاولة إلى الاتصال والتواصل، هدفها لزومُ الآخر ــ المحبوب، ذلك أنَّ الحُبَّ أُلفةٌ، وقوّةٌ تنتقل من هذا إلى ذاك؛ لتعكس درجة الكَلَفِ بين العاشق والمعشوق، ومدى حضور الأنس وقوته بينهما، ولهذا نجد كتب الحبِّ ترسم لنا تدرجات سيميائية للأنس والألفة والقرب: فاللحبِّ مراتب: الهوى، العلاقة، الكلف، العشق، الشَّغَف، اللوعة، الجوى، والهيام...إلخ، وكلُّها عَلامَاتٌ على افتراس الآخر اشتهاءً وشغفاً؛ لأنَّ العشقَ هو اشتهاءُ الآخر أُنساً، فمع الشغف المُؤْنس تنتحرُ المسافةُ بين العاشق والمعشوق، لتمرَّ الألفةُ في طيّة سيميائية تُسمَّى الانصهار في التوحُّد، حيث ينفجر الجسدُ بالكلام:«تبدو حركة العناق في العشق أنها تؤدي، للحظةٍ، حلم انصهار العاشق بالمعشوق/ شذرات من خطاب العشق»، هنا يكفُّ التواصل عن طريق اللغة، إذ تغدو الأخيرة بكماء لاتُحْسِنُ التعبيرَ، ولهذا يتولى الجسد/ الجسدان زمام الخطاب، وتأسيس الألفة والأنس، فالجسد يغدو مفتوناً بآخره، يستضيفه في أروقته وضفافه، كما لو أنَّ العناقَ إنما هو التأكيد على الأنس، بل لنقل: إنَّ الأنس مجالسةً وكلاماً وإشاراتٍ قد استنفدَ طاقته للتدليل على «القرب»، فلابدَّ، والحال هذه، من اللجوء إلى ضروب الحسِّ واللمَّس لتأكيد الحبِّ وحضور الأنيس ــ المعشوق.

إنَّ الحبَّ بوصفه كائنَ الأُلفة المدلَّل يُمَرْكِزُ الأنسَ، ويجعل الكينونةَ حادَّة في وجودها، ولهذا فالتَّخلي عن العشق أشبه بحالة المنفى، حيث انقطاعُ التواصل بينكَ وبين الذي تحبُّ مكاناً وكائناً، ولذلك تبرز قسوةُ المنفى حيث تزدهرُ المسافةُ، وتجفُّ الألفةُ وينضب الأنس، فلا تجدَ الذاتُ لحظتئذٍ سوى أن تأكل ذاتها بفقدان الآخر ــ الأنيس.

مرايا الظل

دحام السطام

تتسكع وحيداً ودنياك كخلد..
وهراؤك الطويل يمتد كصوت الصدى وقرع أجراس الحنين..
دعونا نلم ستائر الدم، ونراقص ظلال من نحب
محرابك القتيل.. بلادي أنت
طقوس عتيقة ودنان عشق بلادي القتيلة وأحلام ترحل في الفيافي مرددات..
جلجامش مضى بعيداً
وأنكيدو يهرول كممسوس يهتف.. بالموت نحيا ثم نحيا لنموت
أنفاسك المتعبة ميراث محطتك الأخيرة ورفرفة حنين جلجامش
تعال نصرخ معاً.. دعونا نعانق أسوار بابل.. وكهوف نينوى..
نادوا على ذاك الحصان السومري
ليحمل ضراوة القاتل والقتل راية من وصايا.. أنفاس (سعد الله ونوس)
اللاهثة خلف سراب البحر ومهجة الموجة الأخيرة..
آت إليك كريح حصان آخيل ونديد روح تضحك... أو ربما تبكي.. سيان
للدموع أحياناً طعم الضحكة.. وسجع البكاء...
ربما لنا فصول أخرى..
مسرح يتسع.. دوائر تمضي بعيداً بنا...
تستحضر أرواح الراحلين...
من دمشق إلى أكاد... ومن رقة الفرات إلى اسبارطة.. الزمن يتوقف أحياناً..
لا بل يموت
ربما يعود من خلف السنين.. ليطالعنا بأيقونات باريس.. وجدران الماغوط
الثملة حتى الجنون..
ما بين الدم والدم.. مقصلة..
جدل الحكاية ومرايا الظل وقبلة اليراع.. ضراوة الوحش والإنسان..
مازالت الأشلاء تعانق الأشلاء.. والليل يصارع الليل..
قدرُنا.. أن نسكر بدموعنا المالحة.. وقبلنا المقتولة..
دعونا نراقِص أشكالنا الذبيحة.. ونزيح الستائر.. عن وجعٍ أليف هو من
عبث يصوغ صورة من أمل.. وجنون.

ستذهب أنت أيضاً

فاطمة الزهراء الرغيوي

لاحقاً وأنا في البيت، أستعد للنوم، تَعْرِف في تلك اللحظات التي تراجع فيها رغماً عنك تفاصيل يومك، في تلك اللحظة تذكرت أنّ اليد التي سلم بها عليّ السيد المهم، كنت قد رأيته قبل ذلك يولج سبابتها في أنفه.

كنت كما أخبرتك أنتظر النوم مستلقية في سريري الفردي فنحن لم نتزوج بعد. أنت لا تجد وظيفة. أنا لا تكفيني أجرتي لشخصين -أنا وأنت- لذا أعيل بها أبي وأمي وأخوي الصغيرين. كنت إذاً في السرير، أخبرتك عنه؛ فراش قديم نام عليه عمي قبل زواجه وانتقاله، ثم نامت عليه أختي قبل زواجها وانتقالها. أنا أنام هنا منذ عشر سنوات. أحببت قبلك اثنين. الأول كان يلهو بي في انتظار التوبة التي أنعم الله عليه بها بعد حادث كان سيقضي فيه. تزوج بعدها بابنة عمته البكر. الثاني، كان يلهو بي في انتظار قارب ينقله إلى أوروبا. أتى القارب ورحل وانقطعت أخباره. أخته التي تعمل معي في معمل الخياطة، أخبرتني أنهم وجدوه في شاطئ الضفة الأخرى، وجدته فتاة شقراء كانت تلبس البكيني. كان جسده قد اكتسب لوناً رمادياً، لا تغطيه إلا بعض رقع الثياب. لو أنه علم أن تلك الشقراء قد تنازلت وأنزلت لأجل ذكراه، دمعتين، لانتابته حالة الفرح الشديد، ألم يكن يحلم بحبيبة شقراء!

المهم، كنت في السرير، قد نزعت عن وجهي مساحيق التجميل. أعرف أنك تحب الكحل في عيني. مدير المعمل يحب أحمر الشفتين، أنا أخفي آثار الزمن... كنت قد غسلت وجهي وبالتالي غسلت يدي، حتى إنني كنت قد أعددت وجبة العشاء وأكلت، ثم غسلت الأواني و... فكرت بالنوم.

إنها حتماً فكرة سيئة أن تفكر بالنوم، لأن أفكاراً أخرى ستزحف إليك. تصعد على السرير القديم. تتسلل تحت الغطاء الذي رفعته على رأسك. تمشي على وجهك فلا تقاوم رغبة حك خدك بيدك اليمنى. ثم تفتح عينيك... حينها فقط، تتذكر يدك في يده.

طبعاً أنت لن تتذكر. ربما لن تنتبه لأمر الإصبع الذي في الأنف. ربما ستنشغل فقط بوعد الرجل أن يجد لك وظيفة أسهل وبراتب أكبر. أعترف. نعم، أنا مثلك، فكرت فقط في الوظيفة الجديدة. استيقظت تماماً، ذهبت إلى بيت الما، أمام المرآة القديمة، غسلت يدي مراراً وتكراراً. غسلتها بالجافيل، تعرف إنه يطهر كل شيء. قلت لي ذلك عندما انهمر ماؤك داخلي لأنك نسيت أن تنسحب في الوقت المناسب. لم أشأ أن ننام سوية. تعرف، أحببت قبلك اثنين آخرين. عندما سلمتهما نفسي، أقصد جسدي، رحلا. أنت لن تذهب. أنت تحبني، حلفت لي خلف سور المسجد. كنت متوجها لصلاة الجمعة فصدقتك حتى عندما رأيتك تسدل لحيتك، وعندما طلبت مني أن لا أضع الكحل، وعندما رأيتك تضع يدك في يد سيد مهم...

لا عليك، الحياة تحتمل هذه التقلبات، أقصد: هذا الفراق. أنت الآن في العراق. كان أستاذ الجغرافيا يعلمه لنا في الخريطة، هل تذكر؟ لم نكن مجتهدين. تعرف، كنتَ منشغلاً بالكرة وبالدراهم التي تتحصل عليها من حمل مشتريات المتسوقين في السوق المجاور للمدرسة، أنا كنت منشغلة بالخياطة. قالت لي أمي: الخياطة ستجعلك تأكلين وتشربين.

لم آكل ولم أشرب ولم أغتسل منذ يومين. قال لي المحقق (لم يقل طبعاً، أنت تعرف: لقد صرخ وعوى وارعد. المحققون لا يقولون، لا يسألون):

- من أين تعرفين سعيد؟

- أنا لا أعرفه. أقصد آ سِيدِي، أعرفه. إنه أب ابني الذي يكبر بداخلي. لم ينفع الجافيل. هو لا يعرف ذلك. سافر قبل أن أعرف أني حامل.

- سألتك من أين تعرفينه؟ منذ متى؟

- ولكني لا أعرف آ سيدي. ولدنا معاً. ربما أرضعتني أمه. ربما أرضعته أمي. كان يحب سرقة دفاتري وأقلامي في المدرسة. أحياناً كان يضربني عندما أتأخر في العودة إلى البيت. لا أعرف منذ متى أعرفه ومن أين. لقد عرفته دائماً مثلما أعرف نفسي.

أطلقوا سراحي البارحة يا سعيد. تعرف، اضطررت أن أخبرتهم عن لقائنا الأخير- تذكره طبعاً- في الروضة، قلت لي إنني كافرة وعاهرة، وأنك ستذهب إلى حيث تنتظرك الجنة. أعرف: هناك الحور العين، هناك أنهار الخمر، هناك العنب والغلمان... أعرف، أعرف أنك تحب ابن جيراننا، الفتى ذا الشعر الذهبي والعينين الواسعتين. لكني لم أخبرهم كل شيء: لم أخبرهم عن سبابة المدير التي كانت في أنفه، عن يده التي مرّت على يدي، ثم بين ساقيّ. لا داعي لأن يعرفوا كل التفاصيل الآن... سأخبرك بها جميعها في الجنة. سنلتقي هناك، أليس كذلك!؟

المثقف الخائن..!

أسعد فخري

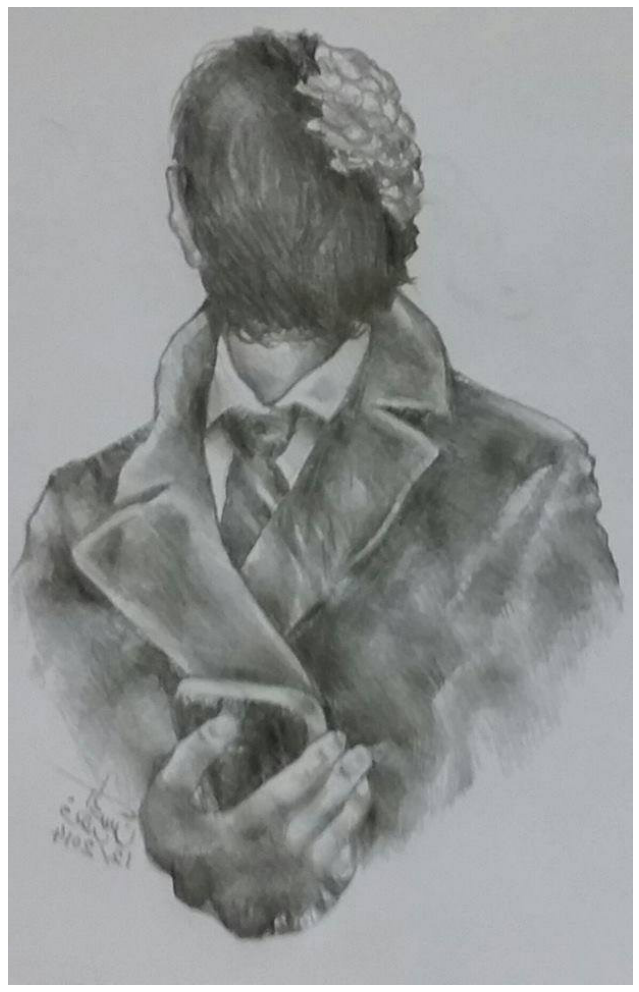

ما من شك أن مجريات الثورة السورية كانت المحك الحقيقي، والفيصل بالنسبة للمثقف السوري الذي اختبر ميراث أفكاره وتطلعاتها بصورة مباشرة مع الشارع السوري الثائر دون أدنى مراجعة حقيقية منه لما يحصل من تغيرات، وتحولات على الأصعد، والمسارات المختلفة.

ذلك مالم تدركه الغالبية العظمى من المثقفين السوريين، الموالين للثورة منهم، والمعارضين لها على حد سواء، في الوقت الذي هم بأشد الحاجة إلى تأمل ما تحصلت عليه الثورة من نواظم جديدة، ومفاعيل حراكية أثمرت في مشهد الصراع، وانعكاساته ميزاناً جلياً لا يقبل اللبس، بأن الثورة السورية جاءت لا لتقدم الخلاص الفردي لأحد، وإنما جاءت لتضع كل مثقف من أبناء سوريا أمام مسؤولياته الحقيقية، وقدرته على المواجهة، والتفكير في حلول ناجعة للخلاص من أعتى دكتاتورية شهدها التاريخ الحديث، بيد أنه من المفيد هنا الالفات إلى مسألة هامة وجوهرية في سياق الحديث عن علاقة المثقف بالثورة، وعقلية أدواته التي علاها الصدأ، وأجهضتها التحولات حيث استطاعت الثورة السورية تجاوز الفهم التقليدي القاصر لما يدعى بالمثقف العضوي أو النخبوي، ولا ضيرَ هنا أن نقول المثقف الهامشي والطارئ، وإلى ما هنالك من تسميات، حيث تزدحم أمام لفظة (مثقف) المعاني والصفات، والمواصفات دون التخلي عن إطارها النظري، وبما لا يتجاوز الحدود الذهنية غير المقاربة للمفاهيم المعرفية، وأبعادها الانسانية، في الوقت الذي ينظر إلى الثورة على أنها حدث معرفي قبل أن تكون وقائع وصراعات متتالية مازال المثقف السوري يلهث خلف سراب مقيت، وهو غير منفك عن استخدام أدواته المعرفية التقليدية التي اشتغل عليها ردحاً من الزمن الساكن، والمواتي الغارق في قصوره العضوي داخل المشهد السياسي السوري ولمدة تجاوزت الأربعين عاماً.

إن من أهم ميزات الثورة السورية وتحصيلاتها المعرفية أنها كشفت وعرّت جملة الادعاءات، والشعارات التي تحتشد بها رأس المثقف طوال تلك العقود التي سبقت الثورة لنلمس من بعد ذلك وهنه، وهشاشته أمام الصدى الشعبي الداوي، وتحول المفاهيم المعرفية، ومتغيرات شروط امتلاك الحقيقة، وإدارة تفعيل الشارع الثائر، في الوقت الذي أُحكم الخناق على مفاعيل المثقف من خلال فقدانه لمقدرته التبشيرية، وتخندقه في إطار محدودٍ من المعضلات الفردانية التي لا يتحصل منها إلا على ثقافة (وحيدة الخلية) لا تبتعد كثيراً عن أنفه في الوقت الذي نجد فيه أن الثقافة، والمعرفية منتج تشاركي، ولن يكون فاعلاً إلا كذلك.

كان على المثقف أن يخرج من صومعة استهلاك المعرفة التقليدية إلى مفاعلة ناقدة لتلك الافكار، والمعايير، ومن ثم الاشتغال على قيمة ثقافية ومعرفية تنسجم وتستكشف الأبعاد الحقيقية للثورة السورية، واستلهام الدور التاريخي للحراك الشعبي الذي بُذل له الغالي والرخيص، أمام مدٍ هائلٍ من التعويم الخارجي الصادم لماهية الثورة، وأبعادها الإنسانية.

لقد فشل المثقفون السوريون فشلاً ذريعاً حين التصدي لدورهم التاريخي في تأثيث قيم فاعلة تظهر الأبعاد النسقية لتوصيف، وفهم معادلة الانفجار الشعبي الكبير في سوريا، وتقري حفرياته الإثنية والاجتماعية خلال العقود المنصرمة ما قبل الثورة، وإدراك سياق القطيعة التاريخية دون تجديد الأفكار والنهج، والمعايير مما دفع بالكثير من المثقفين السوريين إلى الهروب نحو الأمام للتخلص من مأزقهم التاريخي، والاستحواذ على دور الِضليل لتغطية عجزهم، وغياب وتلاشي مقدرتهم على تفعيل رؤية حقيقية لتحولات الثورة ومراحلها، واستشراف مفاهيم عملية تقارب ما يجري، وما سيجري على الأرض السورية بعيداً عن النزوات الفردية، والاحتراب، والضغائن، وتصفية الحسابات التي لن تقدم للثورة سوى هزائم جديدة، ومُلمّات وعثرات.

من هنا يمكننا القول إنّ المثقف حينما لا يشتغل على تجديد أدواته المعرفية، ولا يحقق لها حضوراً على الأرض فهو سيخونها دائماً، وهو بذلك مؤهل لكل أنواع الخسة والريبة، وان افتقاره للحُدوس الخلاقة، وغياب المفاهيم، والأفكار الخصبة داخل مفاعيل شراكته في سياق الثورة، كانت الاختبار الحقيقي والملموس لغيابه المعرفي، وتلاشيه وانعدام وجوده المؤثر من خلال اتساع الهوة بين الأفكار التي يحملها في رأسه المصاب، وحقيقة التحولات السياسية الجارية في البلاد.

إن ما يحدث في العالم قد تجاوز الكثير من تصورات المثقف السوري، وإن ما كان الشغلَ الشاغل لأدواته المعرفية قد طاله التغيير، وألمت به الملمات حيث بات من الأجدر أن يعيد المثقف النظر ويمعن في أجندة أولوياته وثوابته، فالثورة السورية اليوم أصبحت تحتاج إلى مثقف يبتكر دوره الجديد داخلها ويرسم صورته ومكانته اللائقة من خلال بلورة علاقة أخلاقية بسياقها التاريخي، وفهم مأزقها، وإبصار عوائقها، وتحولاتها.

لاشك أن المثقف السوري يعيش الأزمة ذاتها التي تعيشها المعارضة السياسية، وتتجاذبه الأجندات ذاتها التي تتجاذبها، ولأنه قاصر عن فعل شيء ملموس فقد تحول من مثقف (معارض) منذور لدور أخلاقي شائك وصعب في تضاعيفه وواجباته المرجوة إلى مثقف (معترض) تستنزفه الصراعات السياسة مبعدة إياه عن دوره الحقيقي النبيل.

إن الفهم القاصر لمفهوم السلطة في عقلية المثقف وانكساره وخيبته أمام تحقيق إنجاز معرفي هي إحدى أهم العوامل الاشكالية التي تدفع به لطلب السلطة، والاجتهاد لنيلها، والاستحواذ عليها بأي الأثمان وبشتى الطرق والأساليب الممكنة، وذلك من أجل الحفاظ على وجوده، واستدراكاً ملتبساً منه أمام مأزق دوره المعرفي.

صحيح أن السلطة والمعرفة متلازمتان، وأنه لا توجد سلطة دون حقل معرفي يساهم في وجودها إلا أن تلك العلاقة لابد أن تكون نبيلة، وأخلاقية، وليست تعويضاً عن فشل ذريع، وداوٍ أصاب المثقف وتأملاته الفكرية ليتحول عندئذٍ إلى كائن مجهري طفيلي أو متعايش كما هو حال كائن (الأميبيا) وحيد الخلية الذي لا يمتلك قواماً، ولا أعضاء محددة وثابتة يؤدي بها وظائف غريزية، وإنما تظهر له أعضاء تقدم الخدمة حسب احتياجاته، ومن ثم تختفي ليعود إلى شكله الهلامي، فإن جاعَ تشكل له فمٌ، وإن استدعت الحالة تحركه تشكلت له أقدامٌ، وإن دعاه داعٍ إلى تناول شيء أو الوصول إليه تشكلت له ذراع، وهلم جراً إلى ما هنالك من احتياجات تتطلب استمرار وجوده وبقائه حياً.

تلك هي الحال التي أصبحت عليها صورة المثقف الخائن من خلال تخليه عن أداء دوره الأخلاقي النبيل مؤثراً إجادة دور تمثيلي متحول ومتبدل حسب ما تمليه عليه حاجة بقائه بعيداً عن التجانس والنقاء، وهما سمتان أساسيتان متلازمتان لتأثيث الانتماء إلى المعرفية التي فشل المثقف في استلهامها، وليكون من أكبر المستثمرين للثورة وأقل الدافعين للأثمان فيها.

من هنا ندرك حجم الكارثية التي يتعرض لها مسار الثورة السورية، ونلمس عن قرب تلك الشراكة غير البريئة بين مرتكزين هامين وأساسيين (المثقف ورجل السياسة) في احترابهما على امتلاك الحقيقة، ومحاولة كل منهما استبعاد الآخر وتغييبه، مخافة احتلال كل منهما مكان الآخر في الوقت الذي ندرك جيداً أن المثقف الحقيقي ليس رجل سياسة بالمعنى الحرفي لكلمة سياسي، والتاريخ يثبت في كل مرة أن المثقف لابد أن يكون مستقلاً عن لعبة السياسي وتجاذباته، وهو بذلك يحقق مفاعيل دوره التاريخي في تقري التجربة السياسية، ونقدها وتقويمها دون الانخراط فيها كرجل سياسي بصورة مباشرة، ليس لأن ذلك ليس من حقه، وحسب، بل لأن دوره التاريخي يحتم عليه أن يكون مستقلاً بفكره، وموقفه، ورؤيته الحقيقية للأمور، ومسار التحولات الجارية داخل الثورة السورية، والتي هي في الحقيقة من أكبر الثورات التي تخضع لمتغيرات متواترة من خلال الأجندات الخارجية التي فتكت وأهدرت أسباب انتصارها وتحقيق الهدف الذي قامت من أجله.

قوس قزح

الفن والثورة

فهد الحسن

(إن اللوحة لا تقف أمام المدافع والرصاص، ولكني أجزم أنها تبعث الرعب في قلوب أعداء الحياة، إنها الخالدة على مر العصور.)

بهذه العبارة الفائقة يدخلنا الفنان التشكيلي الأرجنتيني اليخاندرو غابريل، أحد أهم فناني الجرافيك في العالم إلى فهم خاص في أسلوب التعاطي مع الإبداع وفق صياغة خاصة تتماهى مع نظرية الانتماء إلى منظومة إبداعية تثويرية خلاقة، وذات دور ريادي في بناء الحياة والمجتمعات بناءً سليماً ومتماسكاً، وإذا تعمقنا في هذا المعنى أكثر نجد أن للفن وظيفة اجتماعية بناءة ومؤثرة في حياة الناس وطبائعهم وتوجهاتهم؛ وهذه الوظيفة يكبر دورها ويتنامى أكثر في التحولات السياسية والاجتماعية الكبرى والمفصلية في حياة الأمم، فيصبح رياديا بامتياز، وتناط به وظيفة استثنائية تتمثل في تكريس الوعي والنهوض به في هكذا مرحلة دقيقة من حياة الشعوب، وما تتطلبه من حرق للمراحل التي تدعم وتكثف الرؤى الثورية وتبسيطها لتصل إلى أكثر الشرائح الاجتماعية، مما يساعد على بلورة رؤاها وتوحيدها، وصولاً إلى الأهداف والخطوط العريضة التي تتبناها الجماهير وتحرص على تحقيقها.

يقول الناقد الروسي «نيقولاي أخلوبكوف»: إن الفن يأخذنا دوماً إلى رحابة الحياة ليجسد لنا عمقها وتفاصيلها بروح صافية ومنحازة بالضرورة إلى تطلعات الشعوب وتحقيق مفاهيمها عن الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية، وبهذا المعنى يمكننا القول: إذا كان الفن قد احتفى في الحياة بهذه الصورة، فهذا يعني أنه مطالب برصد قيمها الإنسانية النبيلة، كأن يكون شاهداً وموثقاً لأحداثها بأدواته الخاصة، كما يتوجب عليه أن يكون مدافعاً صلباً عن المظلومين ومعرياً لأولئك الذين يستبيحون قيم الحرية والكرامة وقدسية الإنسان فيها.

وهذا يجعل الفنان شاهداً فاعلاً في عصره، لا مجرد شاهد زور على حقائق التاريخ وخارجاً منه.

كما يحمل الفنان مسؤولية جسيمة، ويحتم عليه أن يكون ذا قيمة أخلاقية متوهجة ورؤية إنسانية رحبة بحيث تتقاطع مع توق الشعوب إلى تحقيق ما يكفل لها حرياتها وكرامتها.

وهنا يمكننا تلمس ما أنتجه الفن عبر قرون عدة من تراث خالد حفلت به تجارب فنية كبيرة استلهمت معاناة البشرية في أعمالها، وكان هناك فنانون كباراً خلدوا حق الشعوب في تقرير مصيرها، ومنها لوحة (الحرية تقود الشعب) للفنان الفرنسي يوجين دولاكروا، ولوحة (الإعدام) للإسباني فراشيسكو غويا، ولوحات المكسيكي البرتو سانشيز التي جسدت المفهوم الخلاق في حق الشعب بمحاربة الطغيان ومقاومة الظلم، وكذلك (جورنيكا) بيكاسو التي فضحت ممارسات النازية، وكذلك أعمال الجرافيك للأرجنتيني اليخاندرو غابريل التي اهتمت بجراحات الأطفال في زمن الحروب والثورات، ولا ننسى الكثير من التجارب التشكيلية العربية الجادة التي جسدت توق الشعب العربي إلى الحرية والمساواة، ونورد منها: سليمان منصور، إسماعيل شموط، فريد بلكاهية، تمام الأكحل، مصطفى الحلاج، ضياء العزاوي، خزيمة علواني، أسعد عرابي، يوسف عبدلكي، نذير نبعة، رافع الناصري، وكوكبة كبيرة استطاعت أن تؤثر في وجدان المواطن العربي، وفي رفع وتيرة الوعي لدى المجتمعات العربية، ورسخت الضرورة الحتمية لدور الفن في بعث حياة جديدة، وهدم الواقع الرث الذي تحياه، وبناء عالم تسوده حرية الأفراد، وحقهم في العيش الكريم وتلمس كرامتهم الإنسانية.

ولا ننسى هنا ما حفلت به الثورة السورية من تجارب وطاقات فنية خلاقة استطاعت بأدوات بسيطة أن تؤثر بفاعلية في شحن همم الثائرين على الاستبداد، ومدهم بأسباب الثبات وعمق إيمانهم بحتمية التغيير، وقد دفع الكثير من هذه الطاقات الخلاقة من دمه ثمناً غالياً في محراب الشهادة قربانا للحرية، ولتنتج في المستقبل القريب وطناً نقياً وجديداً يكفل لكل أبنائه الكرامة والحرية والعيش الكريم.

أحلام «بدر» السورية وجارتها المصرية الطيبة

فلما كانت الليلة العاشرة..

عزت القمحاوي

تركتك أيها القارئ السعيد الأسبوع الماضي، بينما كان ابني وأخي وأحفادي في عرض البحر. قلت لك إنهم تسعة، حتى لا تستهول الأمر، لكن العدد الصحيح بحساب أولاد العم وعم العم هو ٢٦. نعم، ستة وعشرون من عائلتي على مركب تهريب واحد، في طريق مجهول يأخذهم إلى شواطئ إيطاليا، أو إلى تخوم الآخرة. أنتم أطلقتم على هذه المراكب في مصر اسم «قوارب الموت» ويكفيها هذا قبحاً. ولكن لم يكن من ركوبها بد، فقد أوشكت مدخراتنا على النفاد، وصمم شباب العائلة على السفر، حتى لا يصدق علينا قول الشاعر:

يمشي الفقير وكل شيء ضده
والأرض تغلق دونه أبوابها
وتراه ممقوتاً وليس بمذنب
ويرى العداوة لا يرى أسبابها

كان المركب يطوف حول المياه الإقليمية المصرية ليستكمل حمولته، ثم أبحر باتجاه الشواطئ الإيطالية، وهذا الكلام على ذمة السمسار الذي يتواصل مع القبطان بتليفون «ثريا» لا يعرفه إلا هو مخافة انكشافه للأمن.

ظلّ السمسار يتواصل معنا طوال أسبوع قضته أسرتي في عهدته على البر، وأسبوع آخر في البحر دون تقدم إلى الوجهة المطلوبة. قال إن العصائر والتمر الذي حمله المسافرون نفد، وإنه أرسل مركباً آخر زود المركب بكمية جديدة كالتي نفدت، أي بواقع كيلو ونصف الكيلو من التمر لكل منهم.

وبدأت أعد الساعات والدقائق والثواني، أخرج إلى الشارع، ألتقي بالأصحاب، وعندما أعود إلى الشقة أجدها خالية، ينطبق عليها قول من قال:

كانت خلياتُ نحلٍ وهي عامرة
لما خلى نحلها عادت خلياتُ
كأنها اليوم بالسكان ما عمرت
أو غال سكانها فصل المنيات

تركنا بيوتنا في سورية، وعمرّنا غيرها على قدر الحال في مصر، وكنا سعداء، أو كنا على الأقل نعتبر أنفسنا محظوظين أكثر من غيرنا، وقد جمعتنا مصر بلا خسارات كالتي رأيناها في جيران ومعارف آخرين، مات منهم من مات وتشتت منهم من تشتت في البلاد والقارات. لكننا تفرقنا مرة أخرى، فحق علينا قول الشاعر:

في جبهة الدهر سطر لو نظرت له
أبكاك مضمونه من مقلتيك دماً
ما سلّم الدهرُ باليمنى على أحدٍ
إلا ويسراه تسقيه الردى كظماً

تركوني أنا الشائب أرعى النساء والأطفال، أنتظر بشارة وصولهم إلى بر الأمان. أتحسس الهاتف في يدي، كل لحظة أريد أن أهاتف السمسار، ولكنني أتراجع، فهو ليس مشغولاً بي وحدي أو بأسرتي وحدها. بين كل عشر مرات أهم في الاتصال به، لكنني أتصل مرة واحدة. وبين كل عشر اتصالات يجيبني مرة واحدة.

في اليوم الثامن رد بالليل وقال إنه يتواصل مع المركب المبحر، وفي التاسع قال إنهم يقتربون وإنه سيبشرنا بوصولهم خلال يومين. وفي اليوم العاشر أغلق تليفونه، ولم يعد باستطاعتي معرفة أي شيء. هل تعب مني ومن غيري أم حدث للمركب مكروه؟ لعب الفأر في عبي. وجفا النوم جفني.

أدور في الشقة، أسقي الزريعة على الشرفة، أقف أمام الببغاء الحزين مثلنا. أنظر إلى زوجة ابني، فأرى عينيها حمراوين كالدم وما انتبهت إلى أن عيني تشبهان عينيها. كل منا يبكي في سره، أما الصغيرة ورد التي لا تعرف احتراز الكبار فكانت تبكي دون أن تراعي شيئاً، تشم ملابس أختها، وتقول: «هذه رائحة فرح» ومن التعب تنام.

هذا والله ما كان من أمر الطفلة ورد، أما أمها «بدر البدور» فاستعانت على خوفها بالصيام والأحلام. تنام الصبية وتحلم، ثم تقوم لتتصل بجارة لنا مصرية، تفسر لها أحلامها وتطمئنها. ثم صارت الصبية المصرية تحلم أيضاً. لم نشعر أننا وحدنا، وكما قال امرؤ القيس:

أجارتنا إنا غريبان ها هنا
وكل غريب للغريب نسيب
فإن تصلينا فالقرابة بيننا
وإن تصرمينا فالغريب غريب
أجارتنا مافات ليس يؤوب
وماهو آت في الزمان قريب
وليس غريبا من تناءت دياره
ولكن من وارى التراب غريب

تقوم بدر صارخة، تحلم أن زوجها يصارع الأمواج، تهاتف صديقتها، وتحكي لها مفزوعة، ثم أسمعها تبكي، وأسمعها تعتذر لها، لأنها أيقظتها في وقت مبكر، ثم أسمعها تهدأ، ثم تدعو للجارة. تغلق الهاتف مستبشرة، تقول إن الجارة رأت في المنام أنهم يمرون بصعوبة. تقول لها «حلمت يا بدر أن ثعباناً اقترب من زوجك، وقبل أن يلدغه كانت فرح قد حملت ساقاً طويلة من الحديد وأزاحته بعيداً عن أبيها ثم ضربته على رأسه فأردته قتيلاً».

فلما كانت الليلة الثالثة عشرة...

تملكنا الخوف والقنوط. وجلسنا في صمت. لا يريد أحدنا أن يبدأ بالكلام. وإذا بهاتف بدر يرن. كانت الجارة الصبية، قالت لها إنني غفوت بعد صلاة العشاء ورأيتك تحملين دورقاً تصبين منه عصير «مانجو» سيصلون بالسلامة وستقدمين لي المانجو يا بدر.

فرحت بدر وهللت، أكلت كما لم تأكل منذ أسبوعين. وبرد قلبي «بس شوي» رغم أنني كنت بعيداً جداً عن أحلام المرأتين، كنت أبحر في الإنترنت. أدقق النظر في صفحة «هارب من الموت إلى الموت» وهي صفحة أنشأها السوريون للتواصل حول الغرقى في مراكب الهجرة السرية. كل لحظة أعيد تنشيط الصفحة وتغيب أنفاسي مع غياب موجات الشبكة، حتى تظهر الصور ولا أجد صور عائلتي بينها فأتنفس ملء رئتي. على الصفحة صور شباب، شابات في عمر الورد، أطفال، وسيدات حوامل. مفقودون يتم الإبلاغ عنهم ومناشدة من يعرف شيئاً عنهم. أستعرض الصور مرة، وبعد أن أتمالك أنفاسي أعود أستعرضها وأدقق في الأسماء لأعرف إن كان هناك اسم من بينهم يشبه الأسماء التي أعرفها وأعرف أنها على المركب نفسه الذي استقلته أسرتي.

وكانت الأخبار قد جاءت عن غرق مركب تحمل ستمائة شخص قرب السواحل الليبية، ولم تتحرك الدولة الليبية المنهارة، لكن التي تحركت هي البحرية الإيطالية وأنقذت ثلاثمائة.

والد مسافرين آخرين هاتفني، وقال لي لا تخف، هذا ليس مركب أولادنا، مركبنا عدد ركابه أربعمائة وخمسون شخصاً، فاطمأننت أكثر. ولا أقول إنني لا أثق بأحلام الجارة الطيبة، أو بما ذكره الرجل، لكن قلبي لن يهدأ إلا بعد أن أسمع أصواتهم. وحتى يتحقق هذا فإنني أجلس صامتاً، أردد قول الشاعر:

أستخبر الشمس عنكم كلما طلعت
وأسأل البرق عنكم كلما لمعا
أبيت والشوق يطويني وينشرني
في راحتيه فلا أشكو له وجعا

فلما كانت الليلة الرابعة عشرة..

جاءني هاتف من شخص آخر، أقسم أن الأولاد بخير، وأنه تلقى اتصالاً على الفايبر من ابنه، قال له إننا بخير، وانقطع الاتصال بعد أن طمأنه، لكنه لم يعرف منه كم تبقى من الرحلة، وهل يسيرون في الاتجاه الصحيح أم لا. القبطان نفسه لا يعرف. ولفظ القبطان هذا نطلقه تجاوزاً، فهو عادة واحد من المسافرين يتعلم كيف يضبط البوصلة ليصل بالتقريب في الاتجاه المطلوب. هو قبطان لرحلة واحدة، في مركب لا لا يعود أبداً حتى لو وصل سالماً إلى الشاطئ الآخر.

الذين وصلوا من قبل، قالوا لنا إن القبطان ليس مطالباً بالرسو على شاطئ، عليه فقط أن يقترب من الشواطئ الإيطالية، حيث تمسح الطائرات البحر من الجو، وترسل بالبوارج التي تنتشل المهاجرين من القوارب، تستقبلهم وتسعف الضعفاء والمرضى منهم أولاً، وتقدم لهم الطعام، ثم يبدأ الاستجواب بحضور مترجم عربي عليه أن يفرز السوري من المصري. السوري يسجلون طلبه: إلى أية دولة يريد أن يذهب، والمصري يردونه إلى مصر.

الشخص الذي هاتفني قال: طالما وجد ت شبكة إنترنت أبشر، هم قريبون من البر، ومعظم الخوف زال.

ولما كانت الليلة الخامسة عشرة..

هلل الببغاء، وسمعتها منه في تلك الليلة واضحة «سالم». فاستبشرت بسلامتهم، كررها أكثر من مرة، ورفرف، قلت له «شاي؟» رددها سعيداً، أعددت له شاياً وأخذت أسقيه. شربه ساخناً، هو معتاد على شرب الشاي الساخن. شرب باستمتاع وقبلني على خدي. ولم تمض ساعة حتى اتصلت الجارة، تقول وصلوا. وصلوا يا بدر، والله وصلوا وستعدين لي عصير المانجو.

وفي الصباح رن هاتفي. كان ابني على الفايبر قال لي «كيفك يا أبي؟» وأنا لم أرد. أخذوا الهاتف مني وردوا عليه، وأعادوه وأنا لا أملك نفسي، وأخذ المسافرون يتناوبون على محادثتي. كذاب إذا قلت لك إنني عرفت من يتكلم وماذا قال لي. وبعد أن هدأت عرفت أنهم كانوا ينتقلون من المركب المصري إلى البارجة في اللحظة التي هاتفتنا فيها الجارة المصرية. ولم يبدأوا في فتح هواتفهم على البارجة إلا بعد أن تلقوا الإسعافات الضرورية وتم فحصهم وتسجيلهم. ثم هاتفوني مرة أخرى، وأصبحت أسمع منهم وأستوعب. قالوا أنهم مروا بأهوال لو كتبت بالإبر على آماق البصر لكانت عبرة لمن يعتبر.

ثم.....

أرسلوا لي صورهم على البارجة، وسط أعداد ضخمة من الصبايا والشباب المتهللين، يرفعون علامة النصر، فرحون بالنجاة من البحر والأوطان!

❖ الأشعار المجهولة في متن القصة عن «ألف ليلة وليلة».

دراما

ألفُ عامٍ وأكثرُ
وأنا أحْمِلُ جُثَّةً تَحْجِبُ ظِلِّي عن هذهِ الأرضِ
عَبَرْتُ الفُراتَ قادماً من جَنُوبِ الجَنُوبِ
وجزتُ الفَيَافِيَ، يَشْرَبُ الرُّوحَ رملُها والغُبَار
وكنتُ أؤانسُ قلبي بِشَيءٍ منَ الشِّعرِ
والتَمْتَمَاتِ
لَعلِّي أؤنسن حزني كَذِئبِ الفَرَزْدَقِ
فَنَغْدو صَديقَيْنِ في هذا الفَرَاغِ المُخَاتِلِ
فأنا ليسَ من عادتي الغَدْرُ
ولمْ أكُ ممَّن يَخْلَعُ الصَّاحِب، حتى لو انّي
اكتويتُ بنَارِ الهَجِيرِ والقَائِلَة!
جِئتُ أخُبُّ في الدَّربِ، وبيْنَ
شَوكِ الطَّريقَ إليكِ
ومِأْرِب، جِئتُ
مَزادتي خَوفِي وُحُوشَ الفَلاةِ، وصَوتِي
البَعيد، البَعيد
ولاشَيءَ فيها سِوى ظَمَأٍ يَسْكنُ الرُّوحَ
حَيثُ لا قَطْرَ، في هذي الدِّيارِ
وكُنْتُ أقولُ: يَا أنتَ، في اليَمَنِ السَّعيدِ
وتظْمَأُ رُوحُك!
إنَّهَا قِسْمَةٌ ضِيزَى وجَوْرٌ في بِلاد الحُكْمِ
والحِكْمَةِ، حَاولْ
فلتُحَاولْ!
وأنا أحْمِلُ جُثَّةً تحْجِبُ ظِلِّي
يا أنَا، يا يوسُفُ المَرْميُّ في الجُبِّ
أنادي إخْوَتِي
وحتى الثَّمَنُ البَخْسُ غدا أمْطارَ صَيْفٍ
فلا سيَّارةً تأتي، ولا سَعفَا
يُداري سَوءَتي
فلتحاولْ
هأنذا مثقلٌ بالرِّيحِ والحَنْظلِ البَرِّي
وألفُ كرْبَلاء
في قافِلةِ العيرِ قَطَعْتُ مَهْمَهاً ذئابُه جَسُورَةٌ
وعِندَ كلِّ نخلةٍ سَيْفٌ
وحَرْبَةٌ مَسْمُومَةٌ
وألفُ خِنْجِر
مزادتي فارِغَةٌ، وماؤُها غَوْرٌ
وألفُ عينٍ من ضَوَاري البِيدِ ترْصُدُ المَكَان
فكيفَ لي عُبُورُ هذهِ المَفَازَةِ
وكُلُّ سَعفةٍ تطلبني ثأراً، ولا تَنِي
تَقولُ:
يَا لِثَارات النَّخِيلِ!
أدْرَكَنِي اللَّيلُ فَنِمْتُ، بينَ رُؤيا عاشقٍ
مُدنَفِ القلبِ يُمنِّي الرُّوحَ قُبْلة
وعلى ضِفَّةِ الحُلمِ رَصَاصَة
كانتْ نجومُ اللَّيلِ تَرْعَى قلبَهُ الصَّديانَ
وكانَ اللَّيلُ
يَبْكِي
غيمةً تَهْمِي تَعاويذَ
وآهْ
والمزاراتُ حقولٌ من ضِياءٍ
حُرَّاسُها من دمِنا المَطْلولِ
لا ينامونَ، ولا تنبتُ أعشابُ البَرارِي
على أجْفَانِ حُلمِي
وهو وادٍ غيرِ ذي زَرْعٍ
أفئِدةُ النَّاسِ لا تَهْوي إلَيْهِ
غيرَ أنِّي
لم أزلْ أرْصُدُ نَجْمَ القُطبِ
عَلّي أهتدي لِطَريقٍ أو مَجَرّة
لمْ تزرْها قَافِلة
وأبو سُفْيَانَ لا يعرفُ عِيرا أو سبيلاً مُوصِلاً
يَنفُذُ مِنْهُ، لا لِصَيْفٍ أو شِتاء!
هذهِ الأرضُ التي تمحو خُطَاي
ريحُها الصَّفراءُ تَعْوي
تَحْجُبُ الصَّمتَ
كَأنَّ الأرضَ تُطْوَى للسَّمَاءِ
وأنا مَازلتُ أهْوِي في
ظُنوني
عاشِقاً، صَباً ، يُدارِي خَوفَهُ
وحَنِيني لِبلادٍ لَمْ أزُرْهَا
تمطرُ العُشَّاقَ من أولِ غَيْمَة
والفراتُ
لمْ يزلْ قِصَّةَ عِشقٍ نَرْجسيٍّ
كُلَّما جِئْتُ أُغَنِّي
لِعَرُوسِ البَحْرِ وَجْدِي
أتَهَجَّى صدرَها حَرْفاً فَحَرْفا
أزْرَعُ القُبُلاتِ كَالنَّخلِ
وأهزُّ الجِذْعَ نَحْوَ الرِّيحِ
لكنَّني
مازلتُ أعدو، وأنا أحملُ جُثَّة
جُثَّةً تَحْجِبُ ظِلِّي.

موسى رحوم عباس

بائع الشيح

نجاة عبد الصمد

في عيني بائع الشيح البري عروقٌ حمرٌ ودمعٌ مرّ، وفيهما طيب الشيح الذي يبيعه من جعبته المفرودة على رصيف السوق الشعبيّ، الشيح المرّ والمداوي للمغص.

هناك في آخر الربيع، في التلال الوعرة حول ضيعاتنا الجنوبية يزهر الشيح، ويندّ عنه طلعٌ يستغرق عينَي قاطفِه، فيصيبها بعشق الطلع وبالعروق الحمر وبالدمع المرّ...

ثمن كأس الشيح ١٠٠ ليرة. ملأ لي كأس الألمنيوم (وحدة الوزن أو المكيال التي اخترعها جدّي وجدّه). وظلّ يضيف كمشةً فوق كمشة، ويكبسها بيديه. تتكسّر أعواد الشيح الضعيفة، وهو يحشرها ويضغطها حتى اختنق الكأس. دلقه في الكيس المجعلك الصغير الذي صار لي مقابل ١٠٠ ليرة... حكّ البائعُ الطيب عينيه، وغرف كمشةً إضافيّة من جعبته وأفرغها في كيسي... كيسي الذي صار فيه أكثر بكثير من مكيال كأس حين صار في عيني بائع الشيح احمرارٌ مرٌّ ودمعٌ حلو، وصار في جيبه ١٠٠ ليرة.

ما فاض عن المكيال كان هديته لمن يشتري، كان كرَماً تناسيناه منذ زمن. كنبع أخلاق الثورة. النبع الذي أيضاً تناسيناه. النبع الذي كان اسمه: حرية، كرامة، دولة قانون...

بائع الشيح لا يعرف لماذا تقوم الثورات. يعرف فقط كيف ينهض عند الفجر، ويمشي نحو التلال ويقطف النبتة البريّة، ويأتي ليبيعها في السوق، ولا يخسّ مكيالَه. لبائع الشيح البري هذا أخلاقٌ ثائر...

وسلامات لتلك الليلة، لذلك الصباح، لأشجار التوت على مدى المدينة، لعناقيد الفليفلة والباذنجان والقرع والبندورة تتدلى من سقوف الدكاكين، ومن سقائف قلبي.

ترقية

هنّئيني يا أميّ، باركي لي. أخيراً ترقّيت إلى مرتبة «سجين».

كنتُ مجرّد «معتقل»، نكرةٍ، حشرة، مكسر عصا.

وقريباً سأنعم بحقوق السجين: طعام؛ أي طعام، ساعة تنفس صباحي، ووقت لتزوروني، ووقتٌ للقراءة. سأعود للقراءة يا أمي.

أخيراً سأخرج من فرع المخابرات الجوية. ولن تجفلي بعد اليوم من حينٍ لحين هناك في حمص حين يهتكون سترك هنا تحت أرض الشام مع كلّ كابلٍ رباعيّ يسوط ظهري.

أتوني بالورق لأوقّع، لأبصم على اعترافي (وأنا في كامل قواي العقلية، ودون ضغطٍ أو إكراه) بقائمة التهم التي ارتكبت: انتحال هوية مزورة، إيهان نفسية الأمة، إضعاف الشعور الوطني، سرقة بيت جيراننا المسافرين، المتاجرة بأسلحة مهربة، اغتصاب اثنتين وعشرين صبية في حمص، ترويع المدنيين الآمنين في الحارات، حيازة سلاحٍ غير مرخص، ثم التهجّم على دوريّة الأمن التي حضرت تعتقلني عند الفجر بتهمة ارتكابي كلّ ما سبق).

ولأنني تأمّلتُ أن يبلّلوا شفتي بنقطة ماء، وأن يطعموني كسرة خبز، وأن تنمو لي أظافر بدلاً عن تلك المقلوعة، وتسكن قروح وجهي وحروق جلدي وكسور عظامي وإغماءاتي المتلاحقة؛ فقد أقررتُ بها كلها يا أمي، ولو طلبوا مني على موائد التعذيب أن أعترف بكل الموبقات التي ارتكبها كل الناس منذ بدء الخليقة؛ لاعترفت.

لو كان عليّ أن أبصم تحت اعترافي باغتصابك أنت؛ كنت سأفعل.

بورتريه..

معروف الإسكافي

محمد عبد الله الهادي

هو معروف الإسكافي، العبد الفقير إلى الله، الذي يصلح الزرابين بدكان صغير بمصر المحروسة، لا شك أنكم تعرفونه مثلما أعرفه، وهي معرفة (زي قلتها)، ذلك أنها لم تنقذه من براثن زوجته (فاطمة العرَّة)، وهي امرأة شريرة فاجرة قليلة الحياء كثيرة الفتن، سقته كؤوس المر، وضربته حتى أسالت دمه، وسبقته واشتكت للقاضي..

كان معروف قد أمضى يومه ينتظر زبوناً يستفتح به وطلب «العرة» يدور برأسه، فخرج بجيبٍ خاوٍ لا يشخشخ فيه نصف ولا دينار، وبأعين دامعة راح يتطلع للكنفاني، الذي رقَّ لحاله فناداه وعرف حكايته وقرر أن يعطيه الكنافة بالأجل، وفوق ذلك الخبز والجبن، بل ذاد علي ذلك بأن قال له: «رح إلى زوجتك وأعمل حظاً وخذ هذا النصف حق الحمَّام»..

لكن (العرَّة) فرجت عليه خلق الله لأن الكنافة كانت بعسل القصب، وليست بعسل النحل كما طلبت!.

ومن قاض إلى آخر، كان عليه في كل مرَّة أن يدفع للعسس/ الرسل حق خدمتهم كما طلبوا منه، وعندما وصل الأمر للباب العالي، وعرف أن كبير العسس/ أبو طبق في طريقه إليه، باع عدَّة الدكَّان وهج من وجه (العرَّة) إلى بلاد لا تعرف له طريقاً بمساعدة المارد الجان الذي حمله على ظهره طائراً به حتى مطلع الفجر..

ألم أقل لكم أن معرفتي به منذ أكثر من أربعين عاماً لم تنفعه؟ كنت طفلاً قروياً عندما اشتريته بقرش صاغ واحد من سوق الاثنين بجزيرة مطارع، تمنيت وقتها أن أخلع حذائي وأنسله علي رأس (العرَّة) ثم أعطيه له ليصلحه وأمنحه كل مصروفي (القرش صاغ) ولا تهم في هذه المرَّة دردرمة أبو زكي ولا حلاوة عم أحمد شعر البنات..

لكن الكتاب هدأ من ثورتي بما جاء علي غلافه الداخلي: (قصة اجتماعية تصور أحداثاً لذلك الرجل المصري وفيها تصوير طبائع المرأة بدقة، ليستفيد العقل ما يزن به الأمور في معاملتها، وتأخذ بالقارئ حلقات هذه القصة إلى عبر بالغة مع الإمتاع والإبهاج).

والصحيح أيضاً أن حكاية معروف أخذت بيدي وقروشي القليلة في أسواق تالية إلى حكايات أخرى كان البائع يجلبها من (مكتبة بسيدنا الحسين بمصر) مثل:

مزين بغداد والسندباد البحري وعلاء الدين أبي الشامات.. وغيرها من الليالي.

في البلاد الغريبة وجد «معروف» مصرياً من أصدقاء طفولته، كان هارباً مثله لأسباب أخرى، أقرضه مالاً ومنحه النصيحة، لكن «معروف» نسي النصيحة، وصدق كذبته، وهو يقترض من التجار ويبعثر الأموال يميناً وشمالاً على الفقراء والمحتاجين لحين وصول قافلته التجارية المزعومة حتى وصل صيته ملك البلاد، الذي أعماه الطمع هو الآخر وصدقه وفتح له خزائن المملكة، بل وزوجه ابنته الجميلة! فعرف «معروف» أن للمرأة طبائع أخرى جميلة.. تقول شهرزاد عن دخوله بها:

«قام وخلع ما عليه من الثياب وجلس على الفراش، وطلب النغاش، ووقع الهرش وحطَّ يده على ركبتها فجلست هي في حجره وألقمته شفتها..»

إلى أن تصل بالقول الرامز:

«وحطَّ الزخير وأشعل الفتيل وحرر على بيت الإبرة وأشعل النار فخسف البرج من الأربعة أركان وحصلت النكتة التي لا يُسأل عنها إنسان».

أما النكتة الأخرى فقد كانت اعترافه لزوجته التي أحبها ـ بعد شكوك الملك والوزير في أمره ـ بحقيقته كإسكافي فقير لا يعرف تجارة ولا تجَّاراً، فدبرتْ له خطة هروب وأعطته مالاً ليتاجر فيه في بلاد أخرى حتى تنصلح أحواله فيعود إليها سالماً غانماً ويجتمع الشمل.

لكنه في طريق الهروب يقابل حراثاً فقيراً يحرث أرضه فيستضيفه، ويتركه ليحضر له طعاماً من داره، فتفصح له الأرض عن كنوزها فينزل ويجد الخاتم السحري ويطلع له خادمه (شبيك لبيك..)، ويحقق له كل الأحلام فيعود لزوجته وصهره بالقافلة التي أخذت بألباب البلاد والعباد.

أين فاطمة العرَّة بعد كل هذه الأحداث؟

لقد عرفت طريق «معروف» ووصلت إليه، فاستضافها وأكرمها، ولأن الطبع يغلب التطبع فقد حاولت سرقة الخاتم منه وهو نائم فماتت بسيف ابنه الذي كان يتبعها فلقيت جزاءها المحتوم..

وصار الإسكافي بعد موت الملك ملكاً على البلاد!!.. هكذا أخبرتنا شهرزاد.

إلى أن جاء هازم اللذات ومفرق الجماعات ومخرب الديار العامرات وميتم البنين والبنات فسبحان الحي الذي لا يموت وبيده مقاليد الملك والملكوت..

وأدرك شهرزاد الصباح ولم تسكت حتى الآن عن الكلام المباح.

غريب الدار

الرقة تحت القصف

إبراهيم العلوش

تذهب طائرات التحالف، وتأتي طائرات النظام، وأهل الرقة تحت النار، تتناوب الطائرات على قصفهم، وترويعهم، وبث الذعر في نفوس أطفالهم، كما تتدمر البنية التحتية للمدينة، التي ناضل أهلها عبر عشرات السنوات لتأمينها، فشق طريق، وبناء مستوصف أو صومعة حبوب، كانت مطالب مزمنة، بالإضافة إلى بناء مدرسة، أو بناء جامعة الذي كان حلماً ظلَّ يراود أبناء الرقة طوال نصف قرن، وها هي الأمنيات تقصف، والأهالي يتم تهجيرهم إلى المجهول، ناهيك عن معاناة المتبقين في المدينة، الذين يتم تكفيرهم أو معاملتهم كمرتدين، أو كما يرتئي أي متنطع للفتوى، حاقد على البشر لعقدة في نفسه، أو لغاية كريهة يتكتم عليها بين جوانحه الآثمة، ويظل الناس مرعوبين وخائفين على أنفسهم، وعلى أموالهم، وعلى أولادهم، الأولاد الصغار الذين تتربص بهم الخديعة، والترحيل إلى بلاد مجهولة، وبعيدة، للموت هناك من أجل قطع المزيد من الرؤوس، وإذلال المزيد من البشر، والتسبب بالمزيد من الهوان والدمار لمساحات منسية من البلاد التي تتدهور حالتها يوماً بعد يوم، وتتمزق بين لاعبين وعابثين، لا يهتمون بكرامة البشر، ولا بمصير الأطفال، ويحتقرون النساء إلى حد اعتبارهن مجرد أدوات متعة، والوأد هو المصير المحتوم لهن..

وتبقى نشرات الأخبار تردد الأكاذيب، والوعود الزائفة، والرحمة الملفقة، إنها مدينتنا التي تضيع، مدينتنا الفراتية، التي تتمزق، ويُحتقر أهلها، وينهب مالها، ويهرب الناس منها حاملين ماضيهم، وخبراتهم، وما تيسر من متاع يعينهم على دروب العذاب...

هل الرقة مدينة قيد التلاشي؟ سؤال يرتجف في قلوبنا، ولا يجيب عليه إلا الفرات الذي يحمل الأمل لها، ولأبنائها الخائفين من المجهول، المجهول الذي يتبدى لهم، على شكل استبداد جديد لا يقل قسوة عن استبداد النظام الغاشم...

وتظل الطائرات تحتل سماء الرقة، كما تحتل كل سماوات سورية المعذبة، وتنهال عليها بالمزيد من القنابل ومن الصواريخ ومن البراميل المتفجرة... وتظل سوريا كلها تحت القصف..

سرنمة الحالمين

خالد الجبور

أخذتكَ الطريق
الغبارُ الخفيفُ يدلُّ عليك
يقودُ خُطانا إليك
وأنتَ تَصيرُ حكايتنا في المساء
سيقولُ الرّعاةُ، وهم يوقدونَ الكلامْ:
كان يعبرُ من بيننا في الضحى
واثباً مثلَ ريحْ
ضاحكاً، ساخراً من خيالاتنا
موغلاً في الجهات
شرقُهُ غربُهُ
والشّمالُ، لديهِ، جنوبُ الجنوبْ
سيقولونَ أيضاً، وهم ساهمونْ:
في الظهيرةِ يأتي إلينا،
ويجلسُ بينَ الصخورِ كظلّ غريبٍ لها
لا يشاركنا الزادَ،
لكنّه يحتسي معنا الشايَ،
يصغي إلينا بصمتٍ جليل
فإذا جمعتِ الشّمسُ أطرافها
ونأتْ مثل طيرٍ يضيء
قامَ ينقرُ أكتافنا:
أنا طيرُ الرّعاةِ أواكبكم في الرجوعِ،
أسوقُ الشّياهَ، وأحرسها من نوايا الذئابْ
أنا طيرُكُمُ المُشتهى،
في جناحيَّ ما غاب عنْ جَهْركم،
ما تُربّونه في مناماتكمْ
فخذوا معكم أثري
انثروهُ على عتباتِ بيوتِ الأراملِ والثاكلات،
انثروهُ على وجه أمي عليها السلامُ
عليها السلامُ
عليها السلامْ

السمندر الجديد والسيطرة على العالم

أيمن أبو الشعر

رغم الامتاع والإثارة اللذين يُميزان بوضوح أعمال الكاتب التشيكي المبدع «كارل تشابك» الذي اشتهر بكتاباته في مجال الخيال العلمي، إلا أن الصياغة التي اعتمدها فيما نتناوله اليوم يتواري خلفها تحليل عميق لنفسية الإنسان والمجتمعات، وخاصة في الظروف الاستثنائية التي تكشف الجوهر الغافي وراء الحياة اليومية الاعتيادية، بحيث تستنهض الإثارة انتباهك وتمتعك المفاجآت وربط الأحداث في السياق فتغدو أنت كوتر مشدود يعزف عليه المؤلف الأفكار التي يود غمسها في روحك، وتتحول إلى مجسات يصعب أن يزيلها الزمن.

ورغم مضي أكثر من ربع قرن على قراءتي لهذه الرواية الرائعة (حرب مع السمندر) إلا أن بصماتها ما تزال موغلة في الذائقة. المثير في هذا العمل أن الكاتب يترك لك مساحة كبرى لتُسقط حالة سمندره على ما تشاء ومن تشاء بقدر ما ترتبط بعض الجوانب التي يتناولها ببعض معطيات الواقع المعاش. بحيث تقول: إن البشرية تعاني حالياً من ظهور بوادر هذا السمندر ولو بتنويعات مختلفة. سمندرات - عظاءات - تسعى للسيطرة على مصير هذه البشرية وذلك بعيداً عن عظاءات الأساطير اليونانية الخيالية بأفاعي شعرها. إن عظاءات «تشابك» في إطار الخيال العلمي قريبة جداً من الواقع حتى لتكاد تتخيل أحياناً أن الحديث يجري عن وقائع حقيقية تماماً، وذلك من خلال السياق الذي جعله المؤلف قريباً من النمط التوثيقي والمعطيات العلمية حتى بيولوجيا. باختصار، تحدث (تشابك) عن كائن بحري يشبه العظاءة له قدرة عجيبة على التكيف والتطور، وتتنامى الأحداث بعد اكتشافه -عن طريق الصدفة- بحيث يتم تدريبه أولاً على صيد اللؤلؤ ومن ثم على أعمال الإنشاءات البحرية وتتعمق صلته بالإنسان الذي يسعى عبر شركاته للاستفادة منه حتى الحد الأقصى. وبما أنه يتطور بسرعة مذهلة فإنه سرعان ما يبدأ بتعلم اللغة ويعمق من خبرته التي يأخذها عن الإنسان إبان استغلاله له ويوسع من مهاراته بدأب وذكاء، إلى أن يبدأ بمنافسة الإنسان والسعي للسيطرة على العالم.

ما يهمني في هذا التناول هو تركيز كارل تشابك على طريقة تصرف الدول وخاصة الكبرى حرصاً على مصالحها في مختلف الظروف الناشئة، وتركيزه على مكنون الطبع البشري في الظروف الاستثنائية، فعندما يغدو السمندر قوة عمل منافسة لا يحتاج سوى إلى الطعام وبعض الأدوات تتسابق الدول والشركات لبناء أحواض هائلة له وتمنحه الوعود بمناطق وسواحل جديدة حتى تلك التي لا تملكها أساسا (..؟؟!!) وفق النهج البلفوري: أعط ما لا تملك لمن لا يستحق.. ولا تلبث بعد سطوع قدراته في الأعمال البحرية أن تستخدمه في قواتها المسلحة وصراعاتها مع الدول الأخرى للسيطرة على المياه ومناطق النفوذ مما يشعل حروباً ويستدعي تدخلات دولية تهتز معها دعائم الاستقرار ويبدأ العالم المتحضر بالمراوغات والتشتت وخرق الاتفاقيات والمعاهدات.

ولعلّ أهم نقطة مرت سراعاً في السياق وهي جوهرية جداً أن السمندر كائن بلا عاطفة، بلا مشاعر، لا يعرف المزاح أو اللعب، ويستسخف حتى ظاهرة الضحك أو المرح، وهو يسعى لتحقيق ذاته المتطورة باضطراد وفق المبدأ الميكيافيللي، والحصول على ما يريد وتسخيره خطوة خطوة حتى ضد من ساعده وحتى ضد من تبناه وقدم له السلاح والخبرة والمتفجرات، ويعمل انطلاقاً من تكريس الأمر الواقع لتمرير هذه المصالح بما يشبه الانتدابات والوصايات.

ويصل كارل تشابك إلى النقطة الانعطافية الحاسمة فالسمندر الذي تكاثر وانتشر تأثيره بشكل مرعب لم تعد تكفيه أحواضه (ومستوطناته)، وبات يطالب البشرية بأن تتخلى له عن السواحل والأرخبيلات، بل وبات يلمح إلى أنه آجلاً أم عاجلاً سيسيطر على الكوكب الأرضي ويضع شروطه لكي لا يتم حل (القضية) بشكل حاسم، وإنما لكي يتم تنفيذ مآربه تدريجياً تحت اسم اتفاقيات ومبادئ وإعلانات حسن نية..

ويحمل تشابك على المجتمعات الغربية - بالدرجة الرئيسية - وعلى البشرية عموماً لأنها لا تتوخى سوى مصالحها المنفردة حتى في ظروف استثنائية تهدد العالم بأسره، تلك البشرية التي تغاضت وتهادنت بل وساعدت على تكريس ظاهرة السمندر طمعاً بالأرباح وتوسيع مناطق النفوذ حتى إبان وجود تحذيرات مبكرة عن (خنجر السمندر في ظهر العالم). في هذا المجال يوغل (تشابك) في إظهار هذه المفارقات مبرزاً تمسك الدول ذات المصالح الكبرى في العالم بمواقف آنية لكي لا تتيح للمنافسين بالحصول على أولوية أو تفوق حتى وإن كان لدرء الخطر عن البشرية، فحين تبدأ الحرب مع السمندر وتغرق أسرابها أساطيل بريطانيا التي تدرك أن المواجهة يجب أن تكون جواً وعليها بناء مائة ألف طائرة حربية تحتج الدول الأخرى بأن ذلك سيخل بميزان القوى..!! ويكرس كارل تشابك سخريته من المجتمع البشري غير العادل، ذاك المجتمع الذي يتناحر ويتنافر مكرساً الغنى والفقر والمثقف وغير المثقف العبد والحر والحاكم والمحكوم، مشدداً على أن القوانين والتعهدات بعدم إبادة الآخرين - دون الالتزام بها - ماهي إلا قشرة سخيفة سرعان ما تتفسخ أمام معطيات الواقع، وأن البشرية عبر آلاف السنين كرست جوهرها في تعميق التناقضات بين الشعوب وفشلت في جعل بني جنسها وحدة متكاملة سعيدة، ويصل إلى تقريع حاد لمن جنى على نفسه ودفع بالطبيعة لإيجاد البديل وهو السمندر الذي يحافظ بقوة على وحدة جنسه.. المهم في الأمر أن الكاتب يوغل في حقيقة التناحرات القومية والعرقية وصراع المصالح التي تلعب دوراً محورياً في تكريس تفوق السمندر بما في ذلك عبر المؤتمرات العالمية والمنظمات الدولية مستقرئا أجواء القادم بعد عشرات السنين ذاك أن هذا العمل كتب - حسب ذاكرتي نهاية الخمسينات - وبعض أجوائه وظلاله تظهر اليوم في كثير من المؤتمرات ومعطيات المنظمات الدولية وفق إسقاطات يدركها القارئ بنفسه، وخاصة إن حاول استقراء ما يمكن أن يكون بعد خمسين عاماً أخرى.. إذ يصل الكاتب إلى النقطة المحورية الأهم وهي أن السمندر بدأ بوضوح يعلن عن خططه للاستيلاء على العالم ومقايضة البشر بوجودهم - هكذا - حيث يوجه رئيس السمندر نداءً إلى البشر يؤكد فيه أن - قومه - لا يريدون الحرب مع الجنس البشري ويعرضون على البشر التفاوض ويقدمون ما هو أكبر من ذلك بأريحية: يقدمون أو يمنون بالسلام تحت شعار - الأرض مقابل الذهب واللالئ - ثم يمضي أبعد من ذلك بكثير حين يصبح السمندر قوة ضاربة هائلة، فيطرح عن طريق المفاوضات رغبة السمندر في إغراق اليابسة لتحويلها إلى مستعمرات ومستوطنات أرخبيلية تكفي لتكاثر السمندر ونشاطاته، ويقدم (الفرصة الذهبية للبشرية): الآن أفضل لكم من الوضع في المستقبل لأنكم ستحصلون على شيء ما لقاء فنائكم التدريجي.. أما هدف السمندر فلا رجعة عنه!!. تتفاوت المواقف وتتباين لكنها عند كارل تشابك تلتقي في أمر محوري هو أن كل دولة وشعب وسلطة تفكر في مصالحها حتى الواهمة وكأنها بمنأى عن هذه الحرب وهذه النتائج، حتى أن حواراً شيقاً بين أحد أبطال الرواية السيد (بوفوندرا) وابنه يوضح أن المجتمعات والدول كالأفراد في صياغة الفجيعة وتحملها تمسكا بإحساس مؤقت ساذج وهو أن الحبل الآن ليس حول عنقي. إذن لا علاقة لي بما يجري، فالمياه البحرية التي يوسعها السمندر حسب سياق الرواية وصلت إلى دريزدن والسيد بوفوندرا يعبر عن فرحته لأن ألمانيا بدأت تزول عن الأرض، والنقمة باتت نعمة لأن بلاده ليست لها سواحل بحرية يمكن أن يتغلغل منها السمندر أما الألمان فهذه مشكلتهم..!!

ملاحظة أخيرة: يبدو أن كارل تشابك أرهق أو لم يشأ تقديم حل وسط في سياق عمله الإبداعي الذي وضع فيه البشرية كلها أمام امتحان الفناء نتيجة ابتعادها عن العدالة والتآخي، فيوضح في حوار خارجي مع الكاتب نفسه أن الذين يساهمون في فناء الجنس البشري هم أصحاب البنوك والشركات ورؤساء الدول الذين يمولون ويدعمون السمندر، ويوحي بأن لا سبيل للقضاء على السمندر وإنقاذ البشرية سوى في نقل بعض سموم البشرية وطباعها إلى السمندر بحيث يقاتل نوعه، مشيراً إلى أن نهر دجلة غير بعيد عن بغداد يمكن أن يكون مكان انفجار المعركة الكبرى لاحقاً حيث يقتل السمندر المحلي ضابطين من سمندر(الأطلنطي) فيغدو الشعار: إما نحن وإما هم..!! كانت هذه الإشارة الرؤيوية بغض النظر عن جزئياتها التي قد نتحفظ عليها.. قبل نحو من خمسين عاما!!

ألف شمس مشرقة !

المغيرة الهويدي

يقول خالد الحسيني: «لثلاثة عقود الآن، مازالت أزمة اللاجئين الأفغان واحدةً من أعنف الأزمات حول الأرض. الحرب، الجوع، انعدام الدولة، والاضطهاد أجبر الملايين من الأشخاص أن يتخلوا عن منازلهم، حيث يعيش أكثر من ثمانية ملايين أفغاني في الخارج كلاجئين».

أنهيت للمرة الثانية قراءة رواية «ألف شمس مشرقة» للروائي الأفغاني «خالد الحسيني». عدت إليها مدفوعاً برغبتي في البحث عن إجابات، ومتجاهلاً رأي سارتر بأنّ الرواية لم تكن يوماً حلاً للمشكلات بمقدار ما كانت طرحاً لها. لكنّ ثقتي بالأدب دائما هي الأكبر. الأدب يقول كلّ شيء، ولا يتجاهل أيّ تفصيل قد لا يبدو مهمّاً للسياسي والعسكري والاقتصادي. التفاصيل التي يدوس عليها الجميع لتنتصر غاياتهم وتموت الحياة الممكنة التي يدّعون تمثيلها.

كيف يمكن لرواية تدور أحداثها في زمان ومكان آخرين أن تماثل ما يحدث هنا الآن؟

بين أفغانستان وسورية آلاف الكيلومترات. بيئتان مختلفتان تماماً، ولكنّ الوقائع لا تختلف كثيراً بل تصل في مفاصل معيّنة إلى تطابق مخيف. بدءاً بالنظام الدكتاتوري المستسلم تماماً للسوفيت آنذاك مروراً بالمعارضة المسلحة وانتهاءً بالمجاهدين الطالبان الذين أكملوا دفن البلاد تحت تراب الجهل والتخلف والتطرف.

تعرض الرواية لهذه الحقبة من تاريخ أفغانستان المعاصر بطريقة تجعلني أتساءل: كيف يمكن للتاريخ أن يكرر نفسه هكذا ودونما تغيير يذكر؟ هل وجد التاريخ ليقول لنا: «إنّ أحداً لا يصغي»؟ أم أنّه كان وما يزال صنيعة الأقوياء الذين يعيدون استنساخه عند الحاجة؟ أفغانستان «الشيوعية»، ثمّ التسلط والقمع وبروز المعارضة وظهور الكتائب المسلّحة ثم الاقتتال الطائفي والمذهبي فيما بينها ثمّ المجاهدون «الباشتون» وانتهاءً بأمريكا الّتي تأتي تحت شعار السلام والحريّة والديمقراطية، ثم ماذا؟ لا سلام ولا حريّة ولا ديمقراطيّة، بل المزيد من التطرف والإرهاب والقمع. أليس هذا ما يحدث تماماً؟!

لوهلة شعرت أنني أقرأ رواية تتحدث عن سورية، وعن «الرقة» تحديداً. بدءاً بصور «نجيب الله» الحاكم الذي كان يحكم في ظل رعاية السوفيت، اللوحات والصور الّتي تمزّقت وداستها الأقدام، ثمَّ خروج الناس إلى الشوارع مرحّبين بالقادة الجدد، تنثر النساء على رؤوسهم حبات الأرز ويخرج الأطفال ليتصوّروا مع أسلحتهم. «هم أولاد مسلمين محترمين، والله عندما يأتون، سينظفون هذا المكان، سيجلبون السلام والنظام، لن يُقتل الناس وهم خارجون ليشتروا الحليب». هم أنفسهم الذين جاؤوا من أماكن عديدة بعضهم عرب جاؤوا نصرة للأفغان في حربهم ضد الشيوعيّة الكافرة وبعضهم أجانب جمعتهم غاية الجهاد. وفي تشابه عظيم يعلن الطالبان أنّ وطنهم الآن هو الإمارات الإسلاميّة الأفغانية، وتبدأ شاحنات النقل بحمل رجال مسلحين وملتحين بعمائم سوداء بالتجول في شوارع كابول، في وقت تصدح فيه مكبرات الصوت بصوت الشريعة، وتدعو إلى الالتزام بها. الالتزام بها تماماً كما يفعل «تنظيم الدولة الإسلامية» فيما يصدره من مراسيم في هذا الشأن تطبيقاً للشريعة الإسلامية!

يقفز هنا سؤال آخر: هل تختلف طالبان عن دولة الخلافة الإسلامية؟ وإذا كانت الإجابة لا فلماذا لم تكن الثانية تابعة للأولى؟ أم أنّ الشريعة الواحدة لا تغني عن وجود دولتين إسلاميتين أو ثلاث أو أكثر في نزاع أبدي لن يفضي إلى خلافة منتظرة؟!

قوات التحالف هي ذاتها بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية. والعالم يقرأ المأساة السورية كما قرأ قبلها الأفغانية. الأنظمة القمعية ذاتها، الأبطال أنفسهم، والغايات ذاتها: العدالة، الديمقراطية، الطائفية، المذهبيّة، العرقية... والعالم يقرأ!

بعيداً عن السياسة، تبدو الحال واحدة. ملايين النازحين واللاجئين، انهيارٌ تام لحقوق الإنسان، غياب الأمن، تفشي الأمراض والأوبئة وشح في الكوادر والمواد الطبيّة، انتشار الجهل وحرمان الأطفال من التعلم، انتهاك حقوق المرأة، الفقر وغياب الخدمات الأساسيّة وسوى ذلك مما يصعب حصره الآن، مما يزيد من فداحة المأساة وتراجيديتها بين طائراتٍ تقصف دون هدف واضح ومحدد، وأسلحةٍ تجول في شوارع مدينتي «الرقة» تستعرض قوتها وتستظهرها في بؤس الناس وشقائهم المزمن.

كل هذا تعرضه الرواية باستغراقٍ تامٍّ في رصد تلك التفاصيل الصغيرة لحياة بائسة وشقيّة يدفع ثمنها البسطاء فيما يقرأ العالم هذه المأساة دون أن يحرّك ساكناً. وربّما من الأفضل أن أعتذر عن تعبير «العالم يقرأ»؛ لأنّ الحقيقة تضحد هذا التعبير، فالكل كان مشاركاً في كتابة هذه الرواية المأساوية، الجميع كان مساهماً في تأليف بشاعتها وقبح وقائعها. الجميع كان يعيد إنتاج التاريخ تلبية لمصالحه، فيما يدفع الشعب ثمن هذا التكرار بأن يعيش المأساة مضاعفة.

التاريخ يكرّر نفسه بصرخة مريم وليلى المكتومة بطلتي الرواية، بعنجهية النظام الاجتماعي الذكوري، بالقمع السياسي والتطرف الديني. أنهيت الرواية وأنا أردد هذا المقطع الجميل في وصف كابول.. «لا أحد يستطيع أنْ يعدَّ الأقمار التي تشع على أسطحها أو الألف شمس مشرقة الّتي تختبئ خلف جدرانها». كابول التي لا تشبه الرقة المنسيّة، لكنّ وجع الحرب جعلهما وجهين لموت واحد. وفي بلادنا هنالك الآلاف مثل مريم وليلى، رجالاً ونساءً صرخاتهم المكتومة تستحيل أنيناً دون أن يجدَ أذناً تصغي في صخب العالم المشغول بصناعة غربال للموت، غربال يغطي ألف شمس مشرقة!

الضيوف السوريون يتعلمون اللغة التركية!

ظروف الحرب في سورية أجبرت مئات ألوف السوريين على النزوح والهجرة داخل البلاد السورية، وإلى دول الجوار، ومنها تركيا التي استقبلت اللاجئين السوريين باحترام تشكر عليه، كل الشكر، وهاهم ألوف السوريين يعيشون في مختلف المدن التركية، وخاصة في منطقة جنوب شرق تركيا والمعروف بـ(GAp) حيث صرت تسمع اللغات المتعددة في أسواق أورفا مثلاً، وخاصة اللغة العربية، والكردية، بالإضافة إلى التركية، لغة البلاد المضيفة، وصرت تسمع الكلمات التركية بلكنة عربية أو بلكنة كردية، والكتابة التركية يقرأها العرب باللفظ الإنكليزي، الذي يثير استغراب الأتراك!

ورغم أن كفاءات كثيرة، وخبرات فنية وهندسية وطبية كبيرة، هاجرت إلى تركيا، إلا أن فرص العمل أمامها قليلة جداً، مما يحرم مدن (GAP) من هذه الخبرات ومن التفاعل معها..

يحاول السوريون إدخال أبنائهم إلى الجامعات التركية، إلا أن رسوم تعلم اللغة التركية في جامعة حران مثلاً، تصل إلى (٩٠٠ يورو) للمراحل الثلاث اللازمة لإتقان اللغة، وهذا مبلغ كبير جداً بالنسبة لمهاجر ترك بلاده، وماله، وبيته قيد الدمار..

أما تعلم اللغة التركية في الدورات الخاصة، فشديد التخلف، ولا يرتكز إلى نظام متكامل، فكل أستاذ يعلم اللغة التركية، وفق مزاجه، ووفق أولوياته، عدا أن هذا التعليم مكلف وطويل جداً، اذ يستغرق حوالي سنة، ولا يقل عن تسعة أشهر، أما بعض المراكز المجانية، فهي مزدحمة والدروس فيها شديدة الصعوبة، بسبب عدم وجود مقاعد كافية للجلوس، وكثرة الطلبة، وقلة المعلمين، وهي تكاد تشبه الإغاثة الغذائية في محدوديتها وبطئها...

تدفع الدول الكثير من المال والجهد، من أجل نشر لغتها وثقافتها، لتجعل من متعلميها سفراء لها، وأصدقاء لثقافتها في المستقبل، وفي العلاقات الاقتصادية والعامة بين الشعوب..

أما هنا في تركيا، فتعلم اللغة التركية شديد الصعوبة، ولا تدعمه أية جهة إعلامية أو ثقافية، أو تربوية، ولا نجد أية محطة راديو (اف ام fm) أو قناة تلفزيونية مزدوجة اللغة ترشد المهاجرين وتستمع إلى مشاكلهم، وتعلمهم العبارات التركية الضرورية اللازمة لاندماجهم في المجتمع والعمل، وعدم البقاء خارج عجلة الاقتصاد التركي القوي، والمحتاج إلى المزيد من القوى العاملة الخبيرة والمتدربة..

كثير من الكفاءات السورية، تبحث عنها السفارات الأجنبية، وتعطيها جوازات سفر ترحلها إلى أوربا، أو غيرها للاستفادة مما لديها من إمكانات كبيرة، اقتصادية، أو ثقافية أو مهنية، بينما الاقتصاد التركي والإعلام التركي ما يزالان مترددان في التوجه إلى السوريين وإلى ما يمتلكون من إمكانات وخبرات، رغم أن أحد الوزراء الأتراك خاطب الفعاليات الاقتصادية في أورفا قبل أسبوعين قائلاً.. تعلموا أنتم أيضا العربية من أجل أن تستفيدوا من السوريين والعراقيين والعلاقة معهم الآن وفي المستقبل...

Suriyeliler misafirler Türk dilini öğreniyorlar!

Suriye'deki savaş koşulları yüzünden yüzbinlerce Suriyeli ülkelerini terk etmek zorunda kaldı. Muhacir durumuna düşen insanlarımıza kapılarını açan ülkelerin başında Türkiye . geliyor . Türkiye'ye gönül dolusu teşekkürler. Yüzbinlerce Suriyeli Türkiye'nin çeşitli bölgelerinde yaşıyorlar. Özellikle Türkiye›nin Güneydoğu bölgesinde. Şimdilerde Urfa sokakların da çeşitli diler duyulmaya başlandı :Arapça Kürtçe ve Türkçe. Bugünler de Türkçe kelimeleri Arap ve Kürtlerin de ağzından duyabilirsiniz. Türk yazılarını Araplar, İngilizce okuyor ve bu da Türklerin tuhafına gidiyor. Suriye'den Türkiye'ye bir çok nitelikli nüfus da geldi. Bunlar arasında teknik, mühendislik, tıp alanlarında meslek ve kariyer sahibi olanlar da vardı. Ne yazık ki çalışma fırsatları önlerinde çok az. Bu durum Güneydoğu şehirlerini bu tecrübelerden ve onlarla etkileşimden mahrum bırakıyor .. Suriyeliler çocuklarını Türk üniversitelerine göndermeye çalışıyorlar. Ama Türk dilini öğrenme ücreti mesela Harran üniversitesinde üç seviyesini öğrenmek için) 900yuro (. Bu ücret, ülkesini terk etmek zorunda kalmış birisi için büyük bir miktar. Ama özel dershanelerde her öğretmen Türk dilini kendi keyfine ve kendi bildiklerine göre, bir sistem olmaksızın öğretmeye çalışıyor. Bu eğitim de çok zor ve uzun. Dokuz ay az değil, yaklaşik bir yıl. Ama bazı ücretsiz merkezler de çok kalabalık ve dersler de çok zor. Dersliklerde öğrenci sayısı fazla. Oturacak sıra ve öğretmen sayısı yetersiz. Bu sınırlamalar ve yavaşlık, neredeyse gıda yardımlarına benziyor.

Ülkeler kültürlerini ve dillerini yaymak için önemli bütçeler ayırıp, büyük çabalar sarf ederler. Dil ve kültürlerini öğrenen kişilerin, ülkelerinde gönüllü elçi olması, kültürel ve ekonomik ilişkilerde, halkların yakınlaşmasında köprü olması için çabalarlar. Turkiye'de Türkçe öğrenmek çok zor. Türkçenin öğrenilmesinde yardımcı olacak iki dilde radyo veya herhangi bir medya yada bir televizyon kanalı yok. Muhacirlere yol gösterecek, sorunlarını dinleyip gerekli rehberliği yapacak bir kurum yada mekanizma yok. İki dilli medya kanaları, muhacirlerin topluma uyumunun sağlanması için gerekli. Türkçenin öğretilmesi, sosyal ve iş hayatına uyum göstermek için acilen sağlanmalıdır. Atıl durumdaki Suriyeli iş gücü ve sermayesi, güçlü Türk ekonomisinin dışında kalmamalı. Bir çok ülkenin konsoloslukları yüksek öğretim görmüş nitelikli ve işlerine yarayan Suriyelileri pasaport verip Avrupa ülkelerine gönderiyorlar. Çalışma Bakanı'nın açıklamasına rağmen Suriyelilere çalışma izni verilmesi konusunda adım atılmadı. Türk ekonomisi ve medyası hala Suriyelilere yönelik adım atmış değil. Suriyeli ve Iraklı muhacirlerden istifade edip daha sağlam ve ortak bir gelecek için siz Türk kardeşlerimiz de Arapça öğrenin.

حملة مدفوعة الأجر هدفها تحسين صورة النظام السوري

هل تسترد جامعة «لاسا بينزا» الدكتوراه الفخرية من أسماء الأسد؟

في الوقت الذي دعت فيه «إيرينا بوكوفا» المديرة العامة لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة «اليونيسكو» إلى إقامة «مناطق ثقافة محمية لإنقاذ التراث السوري من التدمير، بداية بالمسجد الأموي في مدينة حلب».

وقالت في افتتاح منتدى عن التراث الثقافي في العراق وسوريا في مقر المنظمة في باريس: «إن تدمير التراث والتنوع الثقافي أمر يقع في صلب النزاعين العراقي والسوري».

وأضافت: «إن سوق حلب القديمة، روح هذه المدينة المدرجة ضمن التراث العالمي لليونيسكو أضحى رماداً وفق ما نقلت وكالة فرانس برس».

ودعت الأطراف المتقاتلة في سوريا والعراق إلى التوقف الفوري عن استخدام المواقع الثقافية أو استهدافها.

في ظل هذه الظروف التي تتعرض لها المواقع الأثرية إلى التدمير الممنهج، منحت جامعة لاسا بينزا في روما العام الفائت شهادة الدكتوراه الفخرية في علم الآثار للسيدة «أسماء الأسد» تقديراً لدعمها القوي في حماية التراث التاريخي لسوريا، ولجهودها في عملية التنمية الريفية.

واليوم تختار شركة «ليدرس» السيدة أسماء الأسد لتكون الشخصية الأولى التي تمنح هذه الجائزة تقديراً لجهودها في مجال الآثار، ودعمها لأعمال البحث والتنقيب.

وفي الوقت ذاته تراجعت آنا وينتور رئيسة تحرير مجلة «فوغ» الشهيرة عن وصفها لزوجة الرئيس السوري بـ»وردة في الصحراء»، وذلك بعد أن نشرت في مارس/ آذار الماضي مقالاً كالت فيه الكثير من المديح لسيدة سوريا الأولى، مشيرة إلى أنها من أكثر السيدات اللواتي يتمتعن بهذا اللقب جاذبية ونضارة، وأنها تمشي واثقة الخطوات بريق نعلها الأحمر، في إشارة إلى أحذية «كريستان لوبوتان» الذي يعد مصمم الأحذية المفضل لدى الكثير من الفنانات العالميات ونساء المجتمع المخملي.

وكانت صحيفة «نيويورك تايمز» قد ذكرت في أحد أعدادها أن مقال المديح المنشور في «فوغ» جاء في إطار حملة إعلامية مدفوعة الأجر، تهدف إلى تحسين صورة النظام السوري والمقربين منه.

واتخذت «وينتور» هذا الموقف تعبيراً عن استنكارها لما تشهده سوريا من أحداث دموية. فهل تحذو جامعة «لاسا بينزا»، وشركة «ليدرس» حذو مجلة «فوغ»، وتسترد شهادة الدكتوراه الفخرية والجائزة المقدمة إلى أسماء الأسد؟!

ثقافية ـ سياسية ـ نصف شهرية ـ تصدر عن مؤسسة توتول الإعلامية بالتعاون مع بيت الرقة لكل السوريين
رئيس مجلس الإدارة: بسام البليبل – رئيس التحرير: ماجد رشيد العويد – مدير التحرير: يوسف دعيس
هيئة التحرير: خلف الجربوع، أسعد فخري، إبراهيم العلوش.
ALHARMAL : 15 günde bir Siyasi ve Kültürel Gazete
SAYI:3 YIL: 2014 (1) - İMTİYAZ SAHİBİ : ŞÜKRÜ KIRBOĞA - EDİTÖR: MAJED RASHEED ALOWAYYED
BASKI: İMAJ OFSET.Sırrın Mah.647 sok.no:33

للتواصل عبر فيس بوك Facebook.com/AlharmalJournal
للتواصل عبر تويتر Twitter.com/AlharmalJournal
للتواصل عبر البريد الإلكتروني Alharmal.journal@gmail.com
MOB: 00905459679973 Atatürk Mah7-.sk. NO = 9. ŞanliUrfa

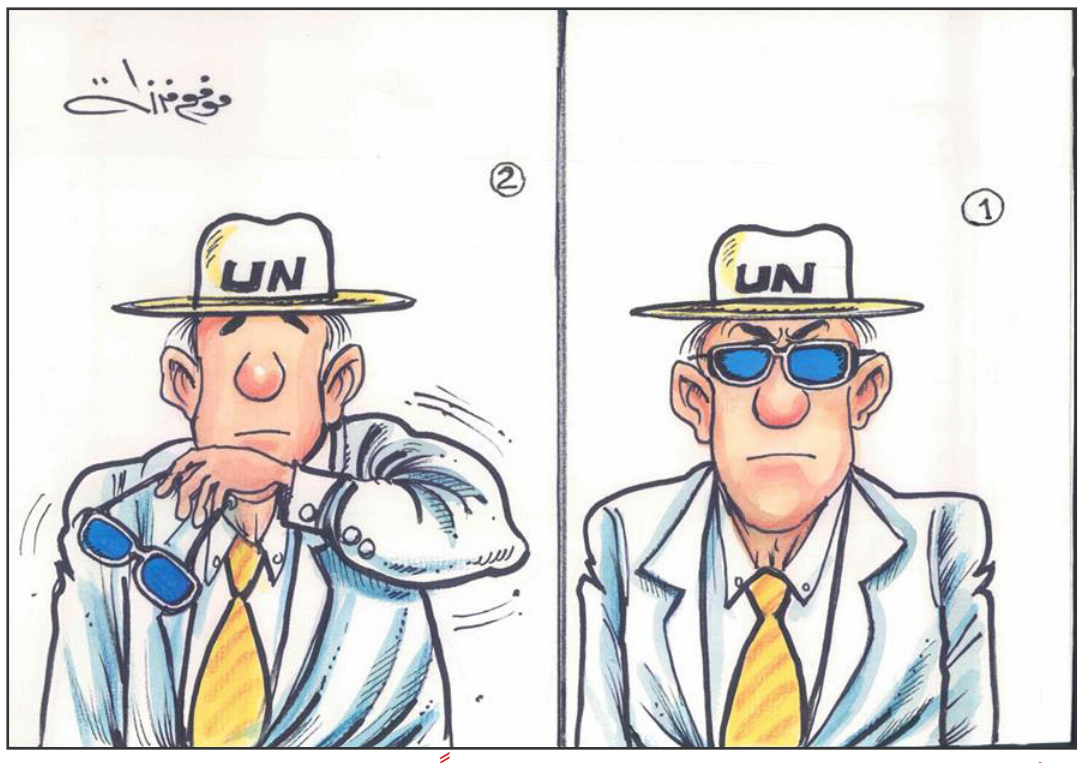

الأسد يقصف درعا وريف دمشق رداً على القصف الإسرائيلي

استشهاد ثلاثة إعلاميين سوريين من قناة أورينت في قصف للنظام على ريف درعا.

ذكرت قناة أورينت الفضائية المعارضة أن صاروخاً حرارياً من طراز «كورنيت» استهدف سيارة فريقها الإعلامي العامل في محافظة درعا المؤلف من الصحافيين رامي العاسمي (مهندس معلوماتية) ويوسف الدوس (أدب إنكليزي) والمصور سالم خليل يوم الاثنين ٢٠١٤/١٢/٨ لدى وصولهم إلى بلدة الشيخ مسكين في ريف درعا حيث كانوا في مهمة تغطية مباشرة، ما أدى إلى استشهادهم على الفور. ونعت رابطة الصحافيين السوريين العاسمي والدوس وخليل، وقالت إن «عدد ضحايا الإعلام الذين وثّقتهم الرابطة منذ بدء الثورة السورية تجاوز أكثر من ٢٦٠ إعلامياً، فقد غالبيتهم حياته بأيدي النظام السوري».

وأصدر نائب رئيس الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية محمد القداح بياناً قال فيه إنه «بعد ساعات من الغارة التي نفّذتها طائرات الاحتلال الإسرائيلي على مواقع قرب العاصمة دمشق، أقلعت طائرات نظام الأسد متّجهة نحو درعا حيث استهدفت عدداً من بلدات الريف بصواريخ حرارية أدّت إلى استشهاد فريق قناة أورينت. وحمل البيان عنوان «الأسد يقصف درعا وريف دمشق رداً على الاحتلال الإسرائيلي».

وإن التصنيف الجديد «للجنة الدولية لحماية الصحافيين»، ومنظمة «مراسلون بلا حدود»، والذي وضع ست دول عربية ضمن بلدان العالم التي تشكل أكبر خطر على حياة الصحفيين (العراق، سوريا، مصر، الجزائر، اليمن، ليبيا). مما يجعل مهنة الصحافة في هذه البلدان، البحث عن الموت، بدلاً من البحث عن المتاعب.

والحقيقة أن أوضاع الصحفيين العرب ازدادت سوءاً بعد ظهور أطراف جديدة في الصرعات الداخلية في هذه الدول، مثل تنظيم الدولة الإسلامية، وجماعة الحوثيين، وتنظيم القاعدة، وغيرها من التنظيمات المسلحة.

مروان... وأطفال الحروب

أيوب أزلال

على طاولة مليئة بالكتب ومجموعة أوراق متروكة وأنا جالس أفكر بمقالة هذا الأسبوع، في بادئ الأمر أردت أن أكتب شيئاً من الأدب الإنكليزي, إحدى ذكريات شكسبير المشهورة.

في أحد الأيام قام أحد صانعي المظلات بزيارة شكسبير حتى يطلعه على إحدى القصائد التي كتبها, رد شكسبير قائلاً: يا صديقي اصنع مظلات فقط!.

من مثل هذه الذكريات يمكنني أن أمارس الكثير من الجهد العقلي وألعاب الألغاز مادام لساني ينطق وأذناي تسمع، ولكن وراء كل هذه الحضارة، أليست الطاقة السلبية مسؤولة عنها؟

هذه المسؤولية عندما تندمج مع الصوت الداخلي للشخص يا له من شيء مؤلم, يعني سوريا تحترق في داخلنا، وهذا الحريق يحرق قلوبنا جميعاً, واضعاً رأسي بين يدي أشاهد الأخبار، أقرأ الكتابات، وأردد: يا رب أنت وحدك قادر على إطفاء هذا الحريق.

الآن أخبار الموت وأداة القتل هي البراميل المتفجرة والغازات الكيماوية، أنت لا تقتل فقط إنسان، وانما تقتل الإنسانية بأكملها, وهنا تكمن خيانة للآيات, وخيانة لله.

شكسبير؛ رجاءً لا تغضب مني اليوم, اليوم لا أستطيع التحدث عنك وعن صديقك صانع المظلات، سنتحدث عن أشعاركم ومظلاتكم مع الأصدقاء الشعراء في مدينة اوسكدار في يوم مشمس.

سأكتب عن حرب دامت ثلاثة أعوام, لا أحد يعرف سبب الحرب، ولا أحد يعرف من يقاتل من, أما الخاسرون بلا شك هم الأطفال والأمهات والحضارة الإسلامية. أما الحضارة الغربية في القرون ١٨ ,١٩ ,٢٠ يبدو أنها لقنت درساً من الحروب التي حدثت في أراضيها فبدأت تقود الصراعات في كل من سوريا وافغانستان وباكستان وليبيا ومصر لذلك تحولت المنطقة إلى مستنقع دماء.

MERVAN VE ONLAR... SAVAŞIN ÇOCUKLARI

Eyyüp Azlal

Kitaplarla dolu bir masa, bir sürü evrak-ı metruke ve ben. Bu hafta yazacağım yazıyı düşünüyorum. Önce İngiliz edebiyatçı William Shakespeare'nin (Şekspır) meşhur bir hatırasından yola çıkarak bir şeyler yazmak istedim. Bir Şemsiye ustası Shakespeare'in yanına gider ve ona yeni yazdığı bir şiirini gösterdiğinde, Shakespeare, ona: "dostum sen sadece şemsiye yap" demişti.

Bu hatıra etrafında entelektüel çaba ve kelime oyunlarıyla çok şey yazabilirdim. Dilimiz dönüyor, kulağımız duyuyor ne de olsa. Ama bütün bunların ötesinde aydın, çağının şahidi ve bütün olumsuzlukların mes'ulü değil mi? Hele bu mes'uliyet bilincinin dıştan dayatılmaktan ziyade, içten gelen bir sesle birleşmesi ne acı bir şeydir.
Suriye yanı başımızda yanıyor. Bu yangın yüreğimizi yakıyor. İki elimin arasında başımı tutmuş haberleri seyre dalıyorum. Bir yandan alt yazı haberleri bir yandan görsel.m. Aman Allah'ım bu yangını ancak sen söndürürsün. Artık ölüm haberleri, bir ihanet ürünü olan varil bombaları, kimyasal gazlar bir insanı değil bütün insanlığı, bütün âlemi öldürüyor. Allah'ın ayetlerine ihanet var burada. Ve burada Allah'ın ayetlerine ihanet edenler var.
Ne olur Shakespeare darılma bana. Bu gün senden ve senin arkadaşın olan şemsiye ustasından bahsetmediğim için gücenme. Şiirlerinizden ve şemsiyelerinizden günlük-güneşlik bir vakitte Üsküdar'a gider iken "katib" arkadaşımla beraber bahsedeceğiz.
Üç yıldır ne adına yapıldığı, kimin kiminle savaştığı belli olmayan bu savaşın yenilen tarafı şüphesiz anneler ve çocuklar... Ve kadim İslam medeniyeti... Batılılar, 19 ,18 **ve** 20**. asırda kendi coğrafyalarında meydana gelen savaş ve ölümlerden çokça ders almış olmalı ki şimdilerde Suriye üzerinden, Afganistan, Pakistan, Libya, Mısır üzerinden bilek güreşi yapıyorlar. Ve ortalık kan gölüne dönüyor. Şimdi spor ve**

زاوية حرة

هناك كلمة اسمها الحرية

بسام البليل

يعزى للفيلسوف اليوناني هيراقليطس أنه قال: «إن الحرب ستكون أساس كل شيء».

وإن نظرة سريعة على تاريخ الحروب يعزز صحة هذه النظرية.

فلم ينتشر استخدام البنيسيللين ويبلغ مرحلة الإنتاج الصناعي إلا في عام ١٩٤٣

وكذلك الجراحة بصفة عامة.. وجراحة التجميل بصفة خاصة ما كان لها أن تتطور هذا التطور لو لم تستفد من ملايين التجارب والعمليات التي أجريت في المستشفيات العسكرية..

وكذلك التقدم في مجال السلاح، وفي مجال العمران، وكذلك الحاسب الآلي الذي صنع لضبط كميات المخزون من قطع الغيار المطلوب إرسالها إلى مطارات المحيط الهادي أثناء الحرب العالمية الثانية، والذي يعتبر اليوم ــ أي الحاسوب ــ جزء من حياتنا اليومية ــ أعني حياة أولئك الذين جعلوا الانترنت خدمة مجانية لمواطنيهم ولم يجعلوا على كل موقع إخباري أو معرفي رقيب عتيد!

وما أريد قوله بهذا الخصوص.. لماذا الذي يصدق لدى الآخرين لا يصح لدينا؟؟

فالديمقراطية التي لديهم تفسد أخلاقنا، ونظام الاقتصاد الحر الذي لديهم يخرب بيوتنا والحروب التي صارت أساسا لكل شيء لديهم، زعزعت كل أساساتنا؟!

هل يشكل العرب الاستثناء الخاطئ لكل قاعدة صحيحة؟ أم نحن الاستثناء الصحيح الذي يوجب إعادة فحص كل قاعدة؟؟

لماذا أشهر ثلاثة حروب في تاريخنا المعاصر لم تعد علينا إلا بالويل والثبور

وعظائم الأمور؟؟

لماذا يكون معدل التطور في وقت الحرب ــ لدى الغير ــ أسرع بمقدار ثلاثة أضعاف معدله وقت السلم، في حين أن هذه المعادلة كانت مقلوبة لدينا؟

فقد تراجع العرب في حدودهم وترابطهم القومي، ودفاعهم المشترك، وحرياتهم، بل حتى في الانتصار لعزتهم وكرامتهم!

أما لجهة التطور التقني والعسكري، فإن مثالاً واحداً يكفي لإثبات أننا الأكثر إخفاقاً في هذا المجال على وجه الكرة الأرضية، حيث أن اثنيتن وعشرين دولة عربية لم تستطع مجتمعة أن تحقق التوازن الاستراتيجي مع العدو الصهيوني بعد أكثر من خمسين سنة من رهن حريتنا، واقتصادنا، وكرامتنا، من أجل تحقيق هذا الغرض!

قد يعترض البعض على نظرية الحرب هذه فيقول ليس كل تقدم بالضرورة أن يكون ثمرة للحرب، ولكنه قد يكون نتيجة لصراع ليس بالضرورة أن يكون مسلحاً.

إذا كان هذا صحيحاً ــ وأظنه كذلك ــ فلِمَ لم تنجح أحزابنا العربية مجتمعة.. القومية منها والأممية والشوفينية، في الاستفادة من هذا الصراع والوصول به إلى ما تحقق في بلاد الناس؟! أم أن ما تحقق لدينا ــ كما تقول أحزابنا العتيدة ــ هو المقياس؟؟!

فهل نصدق دعاة العنصرية في الحضارة الغربية الذين قالوا لنا أن عجزنا نحن الشرقيين بنيوي، وأننا بحاجة إلى من يأخذ بيدنا من حالة (الين ــ الجمود) إلى حالة (اليانج ــ الحركة ــ) /١/.

أم نصدق أولي الأمر الذين قالوا لنا إننا لم نبلغ سن الرشد السياسي بعد، وإننا بحاجة إلى من يحمل عنا مسؤولية التفكير والقرار، وأوكلونا إلى دعة الخمول.

أم نصدق الصوت الهامس من موقف التيه /٢/ قائلاً لنا أن هناك كلمة سحرية اسمها الحرية جربوها، وإن لم تجدوها فاطلبوها.

لقد جربت جميع الدول العربية بعد استقلالها أن تكون دولاً اسبرطية ففشلت، فلِمَ لا تجرب مرة واحدة أن تكون دولاً أثينية /٣/؟!.

/١/: يرى المفكرون الصينيون في الكون تصارعاً بين قوتين متكاملتين هما اليانج وهي قوة ايجابية تمثل /الضوء والقوة والعمل/... أما الين فقوة سلبية تمثل /الظل والضعف والسكون/.

/٢/: موقف التيه: كتاب المواقف ــ النفري.

/٣/: اسبرطة: مدينة يونانية اعتمدت النظام الرياضي العسكري الصارم في حل مشاكلها السكانية والاقتصادية..

أثينا: مدينة يونانية اعتمدت الأسلوب الديمقراطي والثقافي والتجاري، دونما إهمال للقوة حتى أصبحت (معلمة هيلاس) أي اليونان.

الحرمل
مجلة الحرمل تدعو المؤسسات والأفراد إلى دعم استمراريتها وإستقلالها، من خلال الاشتراك والإعلان فيها، وذلك بالإتصال على هاتف المجلة رقم: (٠٥٤٥٩٦٧٩٩٧٣) أو مراجعة مقرها الكائن خلف بلدية أورفا
الآراء التي تنشر بالمجلة تعبر عن رأي أصحابها، ولا تمثل بالضرورة رأي المجلة
السنة الأولى / العدد السادس / 15 كانون الاول 2014